الفصل الأول

الوحدة والتنوُّع في التاريخ الصحفي العربي

الفصل الأول

الوحدة والتنوع .. التصور والمفهوم

فرضت الثقافة العربى فى عصورها السابقة ألوانا من التنّوع، ترجع فى المقام الأول إلى عاملين[1]: **أولهما** أن الثقافة العربية امتّدت فشملت رقعة واسعة جدا من الأرض، تنوعت فيها أنماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضّر، **وثانيهما**، أن الثقافة العربية كانت منفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها، فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت إليها من المشرق والمغرب، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش فى البيئات العربية نفسها وتتفاعل مع ثقافتها الجديدة.

ويظهرنا تاريخ الصحافة العربية على طابع ثقافى مميز، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الأمم الأخرى فى العصور القديمة والوسيطة، والدارسون المحدثون مهما اختلفت أحكامهم علي الحضارة العربية، يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء[2].

والصحافة العربية فى العصر الحديث، امتداد لوسائل الثقافة فى الحضارات الاتصالية السابقة، ولاتزال الأمة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الأرض، ولاتزال تتلقى فيضا حضاريا وافدا من كل جانب، ويتضح الخلاف بين الحضارات الاتصالية السابقة، والحضارة الصحفية المعاصرة فى أن العصر الحاضر قد استحدث فى مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها **الربط بين الثقافة والمجتمع** وتأكيدها **للدور الإيجابى أو القيادى للثقافة فى حياة الجماهير** وكذلك مكن العصر الحاضر لأنواع من الوسائل الإعلامية لم تكن موجودة من قبل كالراديو والتليفزيون، وهى بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور حضارة التدوين قديما، حيث وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير العريضة بالإضافة إلى المطبعة وما أنجزته وتنجزه فى ميدان الصحيفة

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مؤتمر الوحدة والتنوع ١٩٧٣ ص٢٠

(٢) نفسه ص٥ـ٣١ .

والمجلة والكتاب على اختلاف أشكالها وتعدد موضوعاتها، وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية قد اتخذت لها فى الوطن العربى أبعادا جديدة، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الأمة العربية على جميع مستوياتهم، ومنفذا لتعبئة طاقات الأمة العربية كلها فى مختلف ميادين الحياة العامة.

ومن هنا انتقلت فكرة التنوع والوحدة(١) إلى وضع جديد يختلف عن وضعها فى الماضى، وأثارت قضايا ومسائل لم تكن تثار من قبل، فاختلطت أحيانا، فى نطاق التنوع والوحدة، فكرة المحلّية بفكرة الإقليمية، وتداخلت أحيانا أخرى فكرة القومية مع فكرة الإقليمية، وظهرت العناية الأدبية بالفنون التحريرية فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما وقامت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير بما يفهمونه، فوجد مجال للقول فى مسألة الفصحى والعامية، لاسيما مع انتشار ا لأمية انتشارا واسعا فى مناطق كثيرة من الوطن العربى، وكذلك أثارت قضية الاصالة من بعض جوانبها فكرة الطابع المحلى والطابع القومى فيما يتصل بالشكل والمضمون معا، ودار حوارحول منهج الدراسة للتراث العربى على ضوء هذه المفاهيم كلها.

ونخلص مما تقدم إلى أن الأسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع فى الصحافة العربية تتمثل فيما انتهى إليه مؤتمر «الوحدة والتنوع في الثقافة العربية»؛ على النحو التالى:

- إذا كان لصحافة كل أمة طابع حضارى مميز، فإن عددا من القضايا يحتاج إلى تأمل ودراسة، مثل: مواضع هذا التمايز بين الحضارات والأمم ومجالات ظهور الخصائص الفارقة بين الثقافات المختلفة وأثرها فى صحافتها، وأسباب هذه الخصائص والمميزات ومدى شمولها بحيث يستمد إلى الحاضر والمستقبل فى إطار التواصل العالمى والتمايز الأممى.

- وإذا انطبق هذا على الصحافة العربية.. فلابد أيضا من تبين مواضع

(١) المرجع السابق ص٧.

التميّز فيها عن صحافة الأمم وخصائصها الفارقة لها عنهم، بحيث يتوافر للمتأمل إطار عام لها يوجد صورتها من جانب ويكون مجالا لحدوث التنوع والاختلاف من جانب آخر.

- ويجب أيضا تبين مواضع التمايز والتنوع فى داخل الصحافة العربية، وما هى أسباب الخصائص المميزة، وما هى أسباب ظهور هذه الخصائص، وأيضا مدى شمولها بحيث تمتد إلى الحاضر والمستقبل.

والقول بنشأة المنهج الإقليمى فى دراسة تاريخ الصحافة العربية فى العصر الحديث يحتاج إلى مزيد من الدراسة والمناقشة، فإن للتراث العربى مؤلفات عديدة تناولت شعراء وأدباء أقاليم بعينها من الوطن العربى، فهل تعتبر هذه الكتب إيحاء مستترا لهذا المنهج؟ وهل تقوم دراسة الصحف على أساس من هذا المنهج؟

- وإذا كان هذه المنهج قد استطاع توضيح جوانب من خصائص بعض آداب الأقاليم والبلاد العربية القديمة، فهل امتدت هذه الخصائص نفسها إلى المعاصر من الأدب العربى، وفنون القول في الصحافة ووسائل الإعلام العربية، أم ظلت جميعها معا ملامح تراث مشترك للعقل العربى المعاصر؟

والإعلام الصحفى يمثل جانبا هاما من جوانب تراث الأمة: يدل على كثير من مسالك حضارتها ويعبر عن رقيها وتقدمها، ويسم شخصيتها بسمات بارزة مميزة، والإعلام صورة هامة من صور متعددة، إذا اجتمع بعضها إلى بعض، رسمت للأمة معلما من معالمها ووجها من وجوهها، و«لكى تحافظ الأمة على ملامح شخصيتها، وتدافع عن موروثها وتصل ما غبر من معطياتها بما حضر، وبما تأمل أن يكون في غد مقبل، فإنها تدون ذلك التراث، وتجمع بعضه إلى بعض فى جمع كيفى، أو فى إطار تقويمى، أو على شكل آخر من الأشكال التأليفية»(١).

---

(١) الدكتور محمد رضوان الداية فى «مؤتمر الوحدة والتنوع» السابق ص٥.

«والتأريخ للصحافة عند أمة من الأمم واحد من سبل حفظ التراث وتقويمه، وعرضه على الجيل المعاصر، وتقديمه للأجيال المقبلة، وتاريخ الصحافة وسيلة أساسية من الوسائل التى تكشف عن روح الأمة، واهتماماتها ومنازعها، فإن الاختلاف والتميز بين أمة وأخرى إنما يقوم على ما يتصل بمجموع ثقافاتها، ومعارفها العامة، ومواصفاتها الأخلاقية والاجتماعية. والإعلام عنصر من «عناصر تكوين (الثقافة) له أثر هام فى تلوين خصائص الأمة وفى طبعها بطابع خاص. وما من شك فى أن العلوم المختلفة من رياضية وطبيعية لا تميز أمة بمياسم خاصة، لأنها من الأمور التى تشيع بين الأمم وتتبادل وتتناقل بسرعة دون أن تطغى على شخصية أمة أخرى، ولأنها تتصل بأمور معاشية أو تتصل بتقدم الإنسان المادى الخالص، ولكن الثقافة ـ والإعلام من فروعها الرئيسية ـ تسم الأمة بمياسمها، وإذا ما نقلت أمة (ثقافة) أمة أخرى تأثرت بها، على درجات مختلفة من التأثر بمقدار ما تأخذ وتتمثل، وبمقدار ما يتفاعل الوافد مع «الأصيل»[١].

والصحافة نتاج فكرى، إعلامى ثقافى، يصدر عن عقل إعلامى جمعى يصور نفسه ومجتمعه ويحكى ما يدور فى داخل هذا المجتمع محليا وعالميا وما يتأثر به من مؤثرات خارجية. فالصحافة إذن صورة للمجتمع أو لوجه من وجوهه، ومظهر من مظاهره، وكما أن الإعلامى يتأثر بالمجتمع ويكون إعلامه صورة من صوره فإنه أيضا يمثل نفسه باعتباره فردا «متميزا»، أو نموذجا من النماذج فى ذلك المجتمع[٢]، وتجتمع **للاتصال الصحفى** أهميتان: **تصويره لنماذج بشرية خاصة**، وتعبيره عن **قطاعات مختلفة** في حياة مجتمع ما.

وعلى هذا فإن الدارس، ومؤرخ الصحافة، لا يستطيع أن يغفل هذه الأمور ولا أن يتجاهلها. ومؤرخ الصحافة إنما يؤرّخ لصحافة أمة (مجموعة من الناس) فى لغة معينة (وعاء فكرى) فى إطار زمنى معين (تاريخ عصر أو فترة) محصورا

(١) نفسه ص ٥ (٢) نفسه ص ٥ .

بظروفه وملابساته المختلفة. ولابد لنا هنا من أن نتساءل ــ مع د. الداية ــ إلى أى مدى يتدخل (**المكان**)؟ وبمعنى آخر ــ يمكن أن يكون أكثر اتساعا ــ **إلى أى مدى تتدخل البيئة فى التأثير على صورة الصحافة**، فى نفس الإعلامى والصحفى خاصة.

إن الصحافة هى قبل كل شىء وليدة الإعلام، فى ظلال تفكير موضوعى، ولكنها ــ كعمل إعلامى ــ يظل عملية فكرية قبل كل شىء فى قالب لغوى، وهذه العمليّة الفكرية تظهر على **شكل (تعبير) إعلامى موضوعى**، يمكن أن ينقل به الصحفى إلي الأشخاص الآخرين: أحداثًا وأفكارًا، ومشاعر. وعلى هذا فإن **(البيئة) لا تأخذ حيزا فكريا فى التأثير على الصحفى**، وإذا كان لها من تأثير فينبغى أن يتلمس بصورة واقعية لا بآراء مسبقة فرضية لا تثبت عند العرض والمناقشة ووقوف الأدلة.

إن «**البيئة**» ــ **أو** «**الإقليم**»[١] ــ تستطيع أن تقدم للإعلام معطيات متنوعة تلون فنون التحرير بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التى تكون بطبيعتها مادة استمداد للصحفى أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة (وكل هذا لا يؤثّر على «الأدب باعتباره فكرا، ولكنه يؤثر فيه باعتباره صورا، وحوادث يتركب عليها ذلك الفكر وتلك الآراء»[٢] ويتضح هذا **العامل البيئى** حين ننظر إلى ما يسمى **بالقرب المكانى** فى عناصر **التقويم الصحفى** إذ يعنى هذا العنصر بتصوير تيارات خاصة نابعة من البيئة باعتبارها **(مكانا)** يعكس بشكل ما أثرا بيئيا مهما اختلفت المعطيات الأخرى: الفكر، والتراث اللغوى، والتراث الحضارى.

وما من شك فى أن الصحافة تحمل قدرا كبيرا من «**أثر البيئة**» وتتميز بأمور

---

(١) نفسه ص٦.
(٢) نفسه ص ٦ .

منـها، حتـى تعدو صـدى من أصـدائها، فـقد تظـهر **البيئة (الجـغرافية)** على الصحافة فيما تسجل من أحداثها التاريخـية والاجتماعية باعتبارها حوادث معينة تُنشر فى حينها ويُستفاد منها.

وأضرب مثلا من أمثلة استفادة مؤرخ الصـحافة من عوامل البيئة فى الإطار الذى يصوره د. **محمد رمـضان الداية**[1]، ذلك المثل مـن كتب « **تاريخ الأدب عنـد الأدباء الأندلسـيين**. لقـد اهتـم أهل الأندلـس ببـلدهم، بـعد مـدة من استقرارهم فيه وعيشهم فى ظلاله، وبعد أن أحسوا أن غيرهم ليس أولى منهم بذلك من اهتمام وتدوين وتأريـخ. وأبرز الأمثلة ما صنعه **أبو الحسن بـن بسام** فى كتابه : **الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة**. وذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه ألف الكتـاب لكى يظهر مـحاسن أهل بلده ــ ممـا أغفله المشارقـة أو لم يولوه الأهميـة الكافية ــ وقـسم كتابه إلى أقـسام بحسب البـيئة الجغرافيـة من شرق وغرب وموسطـة، وقد ساير **ابن بسام** فيما صنع عدد مـن المؤلفين، منهم **ابن سعيد** الذى أكمل تصنيف كتاب «**المغرب فى حـلى المغرب**» وهو كتاب تعاقب على تألـيفه عدد من المؤلفين الأدبـاء، وأكمله **ابن سعيد**. وقد نشره الـدكتور **شوقى ضيف** فى جزأين، وقد قسم الكتاب إلى أقسام بحسب **البيئة الجغرافية**، ثم فرع كـل قسم كبيـر أقساما صغيـرة، وأضاف اعتبارات أخـرى. وقد تحدث المؤلف عن خصائص الأندلس وطبيعتها، ثم انتقل إلى الأقسام: غرب الأندلس والموسطة والشرق، وأفـرد لكل قسم كتابا، وقسم كل كـتاب إلى ممالك، وكل هذا متصل بتفريـعات جغرافية بيئية، ثم إنه وزع فى كل ممـلكة خمس طبقات، ومعـظم أهلهـا ممن لهـم يد فى الأدب مـن شعر ونثـر وغيره، وهـم: الأمراء والرؤساء، والعلماء، والشعراد، واللفيف[2].

ونحسب أن هذا الاتجاه ينبـىء عن فهم مبكر **للوظيفة الإعلامية**، وما يعنيه عنصر **القرب المكانى فى التقويم الإعلامى**، وما له من أثر فى فنون القول.

(١، ٢) نفس المرجع ص ٧.

لقد ازدهرت الصحـافة العربية، وما تقدمه من فنـون؛ فى إطار واحد ولغة واحدة، ولا يعدو الأثر المحلى فى هذه الصحافة ما يجـعل طابعها إقليميا بمعنى الكلمـة، وكما أنه لا يوجد فإن الصـحافة التى ترتبط بـالأقاليم العربية جـميعا تقوم «أدب أندلسى خالـص وأدب شامى، وآخر عراقى. . إلخ[1]، على اللغة العربـية وعلى معـطيات هذه الـلغة ومواصفـاتها، ويبقـى الاختلاف بين بـيئة وأخرى كـالاختـلاف بين «أديـب وآخر[2] وصحـيفـة وأخرى فـى الأغراض، والأساليب، وطرائق الـتصوير والأداء. . إلخ، ولعل أكثر العـبارات شيوعا مما يوحى بالإقليمية عبارة «الأدب الأندلسى»[3] قديما أو الصحافة المصرية حديثا[4] وإنما هو التسامـح فى الاصطلاح أولا، والركون إلى ايحاءات كـثيرة يوحى بها ذلك الأدب وذلك الصحافة فى موضوعاتها الجديدة.

وينـبغـى ألا نغفـل بعـض الدعوات المـعاصـرة إلى **(الإقليمية)** فى تـاريخ الصحافة العربية ، ومحاولة إعطاء بعض الأقطار العربية مميزات وسمات خاصة فى الأدب تسم ـ بـرأى أصحابها ـ أدب بـلادهم وتلونه بلـون خاص، ولكن دعوتهم تلك ـ كما يقول د. الداية ـ تكشف عن هويتها الحقيقية حين تطرح اللغة الـعربية وعاء يستـوعب الفكر وتخرج إلـى العامية، وفى هذا مـا فيه من خطر[5].

إنه لا يسوغ بشكل علمى مقبول أن يدرس تاريخ الصحافة العربية فى بعض الأقاليم باعتبـارات إقليمية خاصة، «ولا ننسى أيضا مـا يكون وراء ذلك المنهج حين يدعى إليه من أخطار قومية بعيـدة الأثر، من تفتيت المشاعر، ومن ترسيخ الإقليمية» [6].

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٢.　　(٢) نفسه ص ١٠٢ .

(٣) نفسه ص ١٠٣ .

(٤) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية؛ للقاهرة ١٩٥١ .

(٥) د. رمضان الداية: السابق ص ١٠٣ .

(٦) نفسه ص ١٠٣ .

ذلك أن «جوهر الصحافة العربية» قد جسد عناصر «الوحدة» كما جسدها «شكل الأدب» كذلك، ولم يعد «حب الوطن» دليلا على «التنوع» فحسب، وإنما أصبح «تنوعا» فى إطار «الوحدة» يقول شوقى بعد إيابه من منفاه فى الأندلس:

ويا وطنى لقيتُك بعد يأس كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
وكل مسافرٍ سيؤوب يوما إذا رزق السلامة والإيابا

ويقول أيضا:

ويا وطناً بأنفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه

ويقول حافظ إبراهيم:

إنى لأحمل فى هواك صبابة يا مصر قد خرجت عن الأطواق
لهفى عليك متى أراك طليقة يحمى كريم حماك شعبٌ راقِ

ويقول خليل مطران:

يا مصر أنت الأهلُ والسكنُ وحمًى على الأرواح مؤتمنُ
حبى كعهدك فى نزاهته والحب حيث القلب مرتهن

ويقول جميل صدقى الزهاوى:

إن العراق لأمٌ لنا ونحن بنوها
إذا ألم مُلمٌ فإننا منجدوها
أوطاننا هى عز ومصدر للحياةِ
إنّ المجرة رمزٌ لدجلةِ والفراتِ

على أن هذا التغنى بالوطن الصغير، قد ارتبط بالوطن الكبير، وأصبح شعراء مصر وصحفيُّوها يشاركون شعراء بقية الأقاليم العربية وصحفيّيها،

والعكس صحيح أيضا، على النحو الذى نراه تفصيلا فى صفحات الصحف العربية طوال تاريخها فى جميع أقطارها.

ونذكر هنا قول الزعيم **جمال عبدالناصر**: «يكفى أن الأمة العربية تملك **وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان**». ويظهرنا مفهوم **«الوحدة والتنوع»** على ما تتسم به الأمة العربية من **وحدة تاريخية** تلى **وحدة اللغة** أهمية فى ترتيب مقومات **«الوحدة»**، فإذا كانت اللغة تمثل روح الأمة وحياتها فإن التاريخ يصنع ذكرياتها ومشاعرها. ولعل الأمة العربية من أكثر الأمم فى العالم التى عاشت تاريخا واحدا. فوحدة الكفاح ضد الصليبيين والمغول والإنجليز والفرنسيين والصهيونيين، والاشتراك فى الحوادث، وانتقال المعارك والأبطال عبر الحدود المصطنعة التى تفرق أقاليم العالم العربى بعضها عن بعض، كل ذلك يخلق نوعا من الإرث التاريخى الذى يقرب شعوب هذه الوحدات السياسية المختلفة بعضها إلى البعض ويخلق بينها تضامنا فى الشعور وتكاتفا فى الشدائد(١).

ويظهرنا تاريخ الأمة العربية على أن العالم العربى قد عاش جُلَّ حياته فى **«وحدة تاريخية شاملة بفضل النظرية السياسية الإسلامية»**، وقد انهارت هذه الوحدة منذ انتهاء **الحرب العالمية الأولى** ودخول الدول الغربية المستعمرة إلى الشرق والغرب العربيين تحت صور الغزو والانتداب والحماية حتى كان دخول الصهيونية إلى أرض فلسطين العربية، وإقامة إسرائيل كقاعدة غربية استعمارية فى قلب العالم العربى لتكون كالشوكة فى رقبته من الحركة والتقدم(٢).

وقد رأينا موقف الصحافة العربية فى مصر منذ وقعت تحت براثن الاحتلال البريطانى منذ سنة ١٨٨٢ عقب الثورة العرابية، ورغم أن أرض النيل كانت

---

(١) د. صلاح الدين عبدالوهاب: أضواء على المجتمع العربى ص١٩.
(٢) نفسه ص٣.

جزءا من الدولة العثمانية قانوناً، إلا أن ظروفها الخاصة وأهمها: التقدم الحضارى وقوتها العسكرية اللذان اجتمعا لها على يد **محمد على** جعل هذه التبعية اسمية أكثر منها فعلية، فوضعها كان مختلفا عن وضع جميع الأقاليم العربية الخاضعة للحكم العثمانى، ولذلك فقد كان لها جهادها الخاص الذى قصدت منه إلى مقاومة الحكم التركى ثم الحكم الانجليزى من بعد.

يقول د. **صلاح الدين عبدالوهاب**:(١) وانشغال الزعماء المصريين بقضية مصر خاصة دون قضية العروبة بوجه عام، لا ينهض دليلا على إنكارهم للعرب والعروبة، ولا يعنى فى جميع الأحوال وجود نزعة إقليمية أو عصبية لديهم، وإنما كانت نتيجة منطقية لما يقضى به الواقع العملى. فقد كان احتلال بريطانيا لمصر نكسة للنهضة التى كانت تحمل مصر مشعلها، وكان لابد لها من أن تتحرر من هذا الاستعمار حتى تعاود النهوض بنفسها، فإذا ما تمّ لها ذلك، أمكن أن تأخذ بيد غيرها من الأقاليم العربية التى تقع تحت سلطان الدولة العثمانية، فالاستعمار البريطانى كان أمرا دخيلا وجهت كل العناصر الوطنية هجومها عليه لتخلص بالوطن لأبنائه، فما كان لديها وقت لتنشغل فيه بغير هذه القضية الوطنية، وبريطانيا فى مصر لم تكن تتصور أن تسمح باتصال العناصرالوطنية فيها بالعناصر الوطنية فى الأجزاء الأخرى من العالم العربى. فمنطق الاستعمار «فرّق تسد» وهذا المنطق يحول بين إمكان التعاون بين العناصر الوطنية عبر الحدود السياسية المصطنعة.

وكانت العلاقات العربية العثمانية، تسير من سيء إلى أسوأ وخاصة بعد أن تنكرت الدولة العثمانى (تركيا) لمطالب العرب التى أعربوا عنها فى مؤتمر باريس. وما إن اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى حتى زادت من اقتناع العرب بأنه لا محيص عن الانفصال الكلى عن تركيا وتأسيس دولة عربية مستقلة..

(١) نفس المرجع ص ٨٠.

وقد بدأت الثورة العـربية من الحجاز تحت زعامة الشريف حـسين أمير الحجاز، ولكنها لم تكن ثورة حجازية. كانت عربـية ترمى إلى استقلال الولايات العربية بأكمـلها وتكويـن دولة عربية مـوحدة تنهض بالأمـة نهضة تعـيد إليها مـجدها السالف. ولذلك فقـد اشترك فى هذه الثورة رجال من معظم الأقـطار العربية، فكان فيها الـسورى والعراقى والحجازى واللبنـانى والفلسطينى كمـا كان بينهم المسلم والمسيحى. وقد ساعد على قيام هذه الثورة في الحجاز موقعها الجغرافى. فالحجاز بعيد عن عاصمة الدولة العثمـانية ولا توجد بها قوات تركية كبيرة، كما أنها بعيدة عن طرق المواصلات، ولذا فإن من الصعب على الحكومة المركزية أن تسارع إلى إرسال النجدات لقمع الثـورة هناك. هذا فضلا عن أن الحجاز كانت بها عشائر مسلحة كبيرة[١].

ولم تقـف جيوش الثـورة عند حد إعلان الـعصيان علـى تركيا فـى الحجاز نفسها، إذ ما جاء شـهر يونية ١٩١٦ حتى بدأت الثورة تتجه إلى الـشمال معلنة انحيازها إلى الانجليز (الحلفاء) كانت تـركيا قد دخلت الحرب ضدهم مع ألمانيا. ولم يكن ذلك إلا بعد جـملة مراسلات بين **الشريف حسين ومكماهون** الذى كان مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصـر سميت بمراسلات حسين ـ مكماهون التى استثنت من الحـدود المرسومة فى «**برتوكول دمشق**» وهو الذى وضع الـزعماء العرب فى دمشق ومعهم فيصلابن الحسين ليـكون أساسا للتحالف مع بريطانيا، **مقاطعتى مرسين والإسكندرية** وأقسامـا من **سوريا** تقع إلـى الغرب مما سـماه **متصـرفيات دمشـق وحمص وحمـاة وحلب**، فهـذا التعـديل بـدون الإضرار بمعاهدات بـريطانيا مع الـشيوخ العرب، وبدون الإضرار بمـصالح فرنسا حـليفة بريطانيا، تـعهدت الحكومة البريطانـية بأن «تعترف باستقلال الـعرب وتؤيده فى جميع المناطق الواقعة ضمن الحدود التى طالب بها شريف مكة. . ».

على أن الشـريف حسين وافق على استـثناء مرسين فقط، ورفـض الموافقة

(١) نفس المرجع ص ٨٢.

على استثـناء شبر واحد من أراضى سوريا الـتى يقطنها العـرب، ولو لـم يكن جميع هؤلاء العرب مـن المسلمين إذ قال إنه «لا فرق بين عـربى مسلـم وعربى مسيحى فكلاهما أحفاد جد واحد»[1].

وقد خلد لورانس هذه الثورة العربية فى كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» وكأنه يعبر عن رأى الانجليز: «أن هذه الثورة من صـنعهم، ورغم أن معاهدة الانجليز الأدبية والعـسكرية شجعـت العرب على محاربـة العثمانيـين إلا أن هذه الثورة كانت عربية لحما ودما.

وقد توجت الـثورة بنجاحهـا فى دخول دمشق فى أكتوبـر ١٩١٨ فاهتزت أرجاء العالم العربى لهذا النصر لما لدمشق من أهمية خاصة فى نفوس العرب.

وقوبل فيصل قائد الجيش الـعربى بالهتاف والأعلام، وأعنـت المدن السورية كلها انضمامها للثورة وإذعانـها لأوامر القيادة العربية، واشتركت المدن اللبنانية أيضا فى هذه الحـركة حتى قامت الحكومـة العربية فى سوريا فـى جو حماسى أكد لفكرة الوطنية العربية بالرسوخ[2].

أثناء كل ذلـك لم تكن بريطانـيا مخلصة للـعرب حين ساندتهم ضـد تركيا، وإنما كـانت تعمـل لصالحهـا هى ولصالـح الدول الاستعـمارية الأخرى. فـقد وضعت مؤامرتين لتقسيم البلاد العربية التى انفصلت عن تركيا بغير علمهم.

فعقدت بمدينة بطرسبورج الاتفاقية الأولى فى سرية تامة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس سنة ١٩١٦ وهى تعـرف باسم اتفاقية «سايكس بيكو» والتى نصت على تقسيم غنائم الحرب من الدولة العثمانية بين الدول الثلاث.

أما روسيا فقـد اختصت فـى شوق الأناضـول بالولايات الأربـع المجاورة

---

(١) نفسه ص ٨٣.

(٢) نفسه ص ٨٤.

للحدود الـروسية التركية التـى تشكل أرمينيـة التركية، وكذلك بعـض الأقاليم الواقعة بين البـحر الأسود وإقليم **الموصل ـ أراميا** ـ ويـبين من ذلـك أن ما استولت عليه روسيا كان خارج العالم العربى.

واختصت **فرنسا** بالجزء الغربى مـن سوريا إلى جانب **ولاية الموصل** بما فى ذلك لبنان، ثم ولاية **أطنة ومرسين**، وكذلك منحت فرنسا منطقة نفوذ أخرى بداخل سوريا تشمل **الموصل ودمشق وحمص وحماة وحلب**(١).

أما **انجلترا** فقد اجـتزأت منطقـة ما بين **النهرين** بما فـى ذلك **البصرة** على الخليج العربى، ثم **بغداد** ثم داخلية **العراق**.

أما فلسطين فرغم مـطالبة فرنسا بها على أساس أنها الجـزء الجنوبى لسوريا، فقد قامت انجلترا بتدويلها مع الاحتفاظ لنفسها بحق الإشراف على مينائى **حيفا وعكا** على البحر الأبيض المـتوسط. . وكذلك تضمن **اتفاق سايكس ـ بيكو** النص علـى إقامة دولة عربيـة مستقلة أو حـلف دول عربية تحت رئـاسة رئيس عربى تعترف به بريطانيا وفرنسا وتتعهد بحمايتها.

وهكذا يـبين أن بريطـانيا لم تراع فـى هذه الاتفاقيـة الوعودة التـى سبق أن قطعتها علـى نفسها فى **مراسلات الحسين ـ مكماهون** ولم تعـرف أسرار هذا الاتفاق السرى حتى أذاعته الحكومة الروسية البـلشفية بعد قيام الثورة الماركسية فى نوفمبر ١٩١٧، وعندئذ فقط عرف العرب بالمؤامرة التى حاكها **الانجليز**.

أما المؤامرة الأخرى فقد ظهرت فى **تصريح بلفور** فى ٣نوفمبر ١٩١٧ وفيه وعدت بريـطانيا اليهـود بإنشاء وطن قومـى لهم فى فلـسطين العربـية. وهذا التصريح جاء فى صورة خطاب مرسل من وزير الخارجية البريطانية **لورد بلفور** إلى **لورد روتشيلد** الصهيونى احتوى ما يلى من عبارات:

---

(١) نفس المرجع ص ٨٥.

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أنه يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى»(١).

وعرف العرب أنهم ضحية تغرير بريطانيا فاحتجوا على هذا التصريح أشد الاحتجاج، وطلب الحسين تفسيرا من بريطانيا، فأرسلت إليه رسالة مطمئنة تقول فيها: إنها تضمن حرية السكان العرب السياسية والاقتصادية، وذلك خلافا لوعد بلفور الذى لم يضمن لهم سوى الحرية المدنية والدينية.

وصدرت من أمريكا تأكيدات فى هذا المعنى: إذ جاء فى النقطة الثانية عشرة من النقاط الأربع عشرة التى أعلنها الرئيس الأمريكى **ويلسون** أمام الكونجرس الأمريكى فى ٨يناير ١٩١٨ «أن القوميات الأخرى التى تخضع الآن للحكم التركى يجب أن تطمئن إلى حياة آمنة لاشك فيها وإلى الفرصة المطلقة فى أن تنمو نموا ذاتيا من غير إكراه» ثم أعلن فى خطابه الذى ألقاه فى ٤يوليو من السنة نفسها «أن أساس أية تسوية تلى الحرب يجب أن تكون بموافقة الشعوب التى يعنيها الأمر».. ثم عقد **مؤتمر الصلح** فى باريس ١٩١٩ وشهده ممثلا عن العرب **الأمير فيصل بن الحسين** رئيسا للوفد الحجازى.

وهناك طالب باستقلال البلاد العربية، إلا أنه تكشفت له نوايا بريطانيا السياسية وعرف أنها وفرنسا قد اتفقتا على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما (٢).

وفى أبريل سنة ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء الأعلى الذى انعقد فى **سان ريمو** **إعطاء بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الأردن**، وأعطيت فرنسا

(١) نفسه ص ٨٦. (٢) نفس المرجع ص ٨٧.

الانتداب على سـوريا ولبنان، فكان هذا الانـتداب قناعا قانونيـا وراءه استعمار رهيب، لذلك تعرف سنة ١٩٢٠ بأنها النكبة على العالم العربى.

ويكفى تدليلا علـى ما ارتكبه الانجليز من تغرير العرب مـا كتبه لورانس فى مؤلفه أعـمدة الحكمة السـبعة: «إذا ربحنا الحـرب، فإن عهدتنا لـلعرب أوراق ميتة، غير أن الاندفاع الـعربى كان وسيلتنا الرئيسية فـى كسب الحرب الشرقية، وعلى ذلك أكدت لهم أن بريطانيا تحافظ علـى كلمتها نصا وروحا فاطمأنوا إلى هذا القول وقـاموا بالكثير مـن الأعمال العظيمـة، ولكننى بالطـبع بدلا من أن أكون فخورا بهذا الذى لعلناه مـعاً، كنت أشعر دائما بمرارة الخجل..»[١]. ثم جرت بعد ذلك أحداث كـثيرة فى العالم العربى إلى أن أراد اللـه للنور أن يبزغ فقامت ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ التى أحدثت تغييرا جذريا فى الأوضاع التى يقوم عليها مجتمعنا العربى.

(١) نفس المرجع ص٨٨.

الفصل الثانى

الوحدة والتنوع فى الصحافة الشعبية

وفى تقديرنا أن «أخبار الجبرتى» فى حضارة التدوين أقرب إلى الصحافة الشعبية؛ من «**الوقائع المصرية**» الصحيفة الرسمية التى أصدرها محمد على؛ كصحيفة رسمية؛ صدر أول عدد منها فى ١٥ رجب سنة ١٢٤٤هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٨٢٨، وبقيت الصحافة رسمية على هذا النحو طول عهد محمد على، فعباس، فسعيد، فإسماعيل - كما تقدم - وفى عهد الأخير ظهرت **الصحافة الشعبية**، حين أصدر **عبدالله أفندى أبو السعود** صحيفة «**وادى النيل**» ١٨٦٦م، مرتين فى كل أسبوع، و«**نزهة الأفكار**» ١٨٦٩م لصاحبيها **إبراهيم المويلحى وعثمان جلال**، وكانت جريدة سياسية أسبوعية. وصحيفة «**الأهرام** لصاحبها سليم تقلا؛ وقد حصل على تصريح بها فى عام ١٨٧٥م. وجريدة «**روضة الأخبار**» ١٨٧٥، وجريدة «**الوطن**» ١٨٧٦م. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عناية خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية.

إلى جانب هذه الصحف وجدت: **جريدة مصر** ١٨٧٦م، وجريدة **المحروسة** ١٨٨١، وجريدة **العصر الجديد** ١٨٨ م.

وقد توالت الأحداث المصرية والعالمية، واصطلحت جميعاً على تقوية الصحافة الشعبية، رغم منعها، أول الأمر، من الخوض فى الموضوعات السياسية، إلى أن قامت الحرب الروسية التركية.

ثم ظهر السيد **جمال الدين الأفغانى** فجأة فى مصر، وقضى بها ست سنوات من مارس ١٨٧١م - إلى أغسطس ١٨٧٦م، كانت من خير أعوام حياته.

فعندما جاء إلى مصر كانت صحافتها ذات تاريخ ممتد إلى أوائل القرن التاسع عشر عندما صدر جرنال **الخديو** «١٨٢٧م ثم صحيفة **(الوقائع المصرية)** في ديسمبر ١٨٢٨م، وهما صحيفتان رسميتان. كما تقدم. ولم يكن إسماعيل ليطيق صحافة شعبية؛ فعندما حاول **إبراهيم المويلحي وعثمان جلال** إصدار مجلة **(نزهة الأفكار)** سنة ١٨٦٩م، لم يكن لها مجال يسمح باستمرارها، فقد اعتبرت «مهيجة للخواطر، ومثيرة للفتن» وألغيت بعد صدور العدد الثاني.

وقد شجع **الأفغاني** تلاميذه على إصدار الصحف وأخذ يغذيهم بروحه ويشجعهم بأفكاره، ومن هؤلاء: **محمد عبده، أديب إسحق، المويلحي، سليم النقاش، إبراهيم اللقاني، سعد زغلول**، وغيرهم.

وتظهرنا صورة الشيخ «**محمد عبده**» (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) على الأثر الإيجابي للصحافة في الفكر المصري الحديث، وهو الذي خطا بالمقال الصحفي خطوة كبيرة مبنى ومعنى، ويقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذي ينهض بالصحافة المصرية في الطور الثالث من تاريخها، ويتبنون اتجاهاته الإسلامية والوطنية. «المتأصلة الجذور في تارخ بلاده» واعتقاده أن الوحدة ضرورية في الحياة السياسية، حتى لنذهب إلى أن الدور الذي قام به محمد عبده في الصحافة المصرية يرتبط بنواح ثلاث هي: **الإصلاح الديني، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسي.**

ونعتقد أن هذه النواحي الثلاث، هي مرتكزات الصورة الإيجابية للصحافة الوطنية العربية منذ جهادها ونشأتها في العالم العربي، إلى اليوم.

إثر عودة **محمد عبده** من منفاه؛ قال عن أصول منهجه للإصلاح: «إن **السيد جمال الدين** كان صاحب اقتدار. وقد عرضت عليه حين كنا في باريس أن نترك السياسة، وأن نذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، فنعلم ونربي من نختار من التلاميذ على مشربنا، فلا تمضي عشر سنين إلا ويكون

عندنا التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك أوطانهم والسير فى الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار؛ فقال: أنت مثبّط!).

وسنراه رجل قول، وعمل بلغ فى كل منهما الذروة: يلى الوظائف الكبرى ويخوض فيها المعارك الضخمة، ويتعلم الفرنسية. ويفحم بكتاباته أحبار أوربا وفلاسفتها أمثال «هانوتو»، ويكتب فى الصحف. ويفسر القرآن، ويصب اللعنة على السياسة الإنجليزية وهو فى العاصمة الإنجليزية. وسنراه الشيخ الكبير لمدارس المصلحين والسياسيين المصريين كافة، وفى طليعتهم **سعد زغلول** زعيم ثورة ١٩١٩م، **وأحمد لطفى السيد** «أستاذ الجيل»، والشيوخ والعلماء الأحرار فى الأزهر، **محمد مصطفى المراغى، ومصطفى عبدالرازق، وعلى سرور الزنكلونى، وعبدالمجيد سليم، ومحمود شلتوت**، كما رأس وهو فى **(الوقائع الرسمية)، سعد زغلول، وإبراهيم الهلباوى، ووفا زغلول، وعبدالكريم سليمان،** وتتلمذ فى رياسته رؤساء الوزارات، **سعد، وعدلى ورشدى، وثروت، ومحمد محمود، والزعيمان محمد فريد، وطلعت حرب والشيخان المراغى ومصطفى عبدالرازق**.

وظل على ما بدأ به حياته فى عهد الطلب متقشفا زاهدا يقاوم الخرافات والجهالات فى كل موقع شغله أو اطلع على عيوبه أو استعان به أصحابه لإصلاحه»(١).

يقول الأستاذ عبدالحليم الجندى:

ولما أصيبت مصر بكارثة الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢م واجتمع عليها الحكم التركى يمثله الولاة من أبناء محمد على والاستعمار البريطانى، كتب عن محمد على ـ وحفيده الخديو عباس حلمى الثانى على عرش مصر يحتفل بمرور مائة عام على تأسيس دولته ـ فقال: (ماذا صنع محمد على؟.. لم يستطع أن

(١) عبدالحليم الجندى: الإمام محمد بن عبدالوهاب أو انتصار المنهج السلفى، القاهرة، ص١٩٧.

يحيى ولكن استطاع أن يميت!.. اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير خاضع للسلطان العثمانى، فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب الأوربيين فأوسع لهم فى المجاملة!.

وانقلب الوطنى غريبا فى داره غير مطمئن فى قراره. فاجتمع على سكان البلد ذلآن: ذل ضربته الحكومة الاستبدادية، ومن رأيه أن الإصلاح عن طريق الدين أيسر من الإصلاح عن طريق مقياس المنفعة الذى اصطنعه الأوربيون.

وقد آثر الشيخ **محمد عبده** بعد عودته إلى مصر من بيروت ـ حيث قضى ست سنوات فى المنفى ـ أن يبتعد عن العمل السياسى المباشر، مفضلا العمل فى مجال التربية والتوجيه الدينى، فقد كان من حيث مزاجه الشخصى وعقليته وثقافته مربياً وموجهًا أكثر منه سياسيًا، فهو يحتضن الجانب الإسلامى تفكيراً وتعليمًا وإحياء «وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أن **محمد عبده** كان يرى قصر الإسلام على ضمير الفرد على نحو ما أراد الصحفيون والكتاب الضالعون مع الاستعمار كما فعل السيد أحمد خان والقاديانى فى الهند، وكما حاولت البابية والبهائية أن تفعل فى إيران»(١)

ولم يبتعد **محمد عبده** عن السياسة، إلا بعد تأكده من أن الزعيم **مصطفى كامل** كان يقود الحركة الوطنية بنجاح لمقاومة الاستعمار البريطانى، ومعتمداً على الله ثم خلق الوعى الإسلامى والوطنى، وكان مصطفى كامل يؤمن بأهمية التوجيه الدينى والتعليم الجامعى، ودور الإعلام والصحافة فى تهيئة الرأى العام لتقبل اليقظة الإسلامية، وربط مصر بالعالم الإسلامى، وقد قامت كل من (المؤيّد) التى أسسها الشيخ **على يوسف** فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩م، و(**اللواء**) التى أنشأها **مصطفى كامل** فى أكتوبر سنة ١٩٠٠م بحمل راية اليقظة الإسلامية.

---

(١) د. إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامى ص١٦٩.

وقد أثمرت الحركة الإسلامية ثمارا طيبة ناجحة، ذلك أن الحركة القومية المصرية برئاسة سعد زغلول قد نشأت فى أحضان الأزهر، واعتمد خطباؤها على منابر المساجد، كما اعتمد كتابها على الصحافة الإسلامية، وتآخت فى سبيلها كافة الطوائف على نحو ما تؤكده الحضارة الإسلامية التى تظل كافة الطوائف تحت لوائها وتحميهم فى كنفها[١].

وكذلك كانت حركات الاستقلال فى الشام والعراق وفلسطين منبثقة من منطلقات إسلامية، حتى أن رمز الاستقلال والزعامة السياسية فى فلسطين كان شخص المفتى أمين الحسينى، كما صدرت المقاومة العربية ضد النفوذ الفرنسى فى سورية من الجامع الأموى فى دمشق، وكان زعماء الثورة الذين عرضوا صدورهم لنيران العدو الفرنسى الغاشم هم كتاب الصحافة الإسلامية.

ويؤكد الشيخ محمد عبده أهمية التوجيه التربوى الإسلامي بقوله (ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم، وتقدر المغارم على المخالفات، هى التى تربى الأمم وتصلح شأنها، فإن القوانين لم توضع فى جميع أنحاء العالم إلا للجرائم والسقطات. وأما القوانين المصلحة فهى نواميس التربية المثالية).

كما يقول أيضا: (والسبب فى فقر البلاد عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية، التى تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته، إن لم تقل: تجعل الإحساس الأول أقوى من الثانى وتزيد إحساس الإنسان بمنافعه ومضاره).

ثم يتساءل الشيخ محمد عبده: (ألم يأن لنا أن نرجع إلى المعروف مما كان عليه سلفنا، فنحيا بما كان قد أحياهم، ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم؟)[٢].

---

(١) نفس المرجع ص١٦٩.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، ج٢، ص٤٩٦. د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص١٧٠.

وقد ترك كل من **جمال الدين الأفغاني** - بعد وفاته سنة ١٨٩٧م في الأستانة، والشيخ **محمد عبده** - بعد وفاته بالقاهرة سنة ١٩٠٥م - ، أجيالا تتلمذت على مبادئهما ومقاومة التقليد ومكافحة الاستعمار الأجنبي، وبناء العالم العربي والإسلامي من خلال التعليم والتوجيه والإعلام والصحافة.

وقد اشتهر تلاميذ من هذه الحركة - في الصحف العربية - علماء أفذاذ وزعماء شرعوا القلم في وجوه الأعداء نذكر منهم: **طاهر الجزائري، والقاسمي، والبيطار، وعبدالقادر المغربي، وكرد على، ورفيق العظم، وشكيب أرسلان، وطنطاوي جوهري، وفريد وجدي، وإبراهيم اللقاني، والبارودي، وعبدالعزيز الثعالبي، والطاهر بن عاشور، وعبدالحميد بن باديس، ومحمد رشيد رضا.**

صحيفة: (المنار):

وقد استطاع الشيخ **محمد رشيد رضا** أن يمضي قدما على الدرب الذي اختطه له أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده، وكانت مجلة **(المنار)** من أقوى الصحف الإسلامية التي دوّى صيتها في جميع أركان العام الإسلامي. وقد صدرت **(المنار)** على هيئة جريدة في ١٥ مارس سنة ١٨٩٨م ثم تحولت إلى مجلة شهرية ذات شأن عظيم. وعندما توفى صاحبها في ٢ أغسطس سنة ١٩٣٥م كانت (المنار) قد دخلت في عامها الخامس والثلاثين، وخير ما يمثل غاية هذه المجلة ويبين منهجها ورسالتها ما كتبه الشيخ **محمد مصطفى المراغي** شيخ الجامع الأزهر بمناسبة عودة المجلة إلى الظهور، فقد قال[1]:

(كانت **مجلة المنار** مرجعاً من المراجع الإسلامية الغالية، تحل فيه مشكلات العقائد والفقه، وتحيط بالمسائل الاجتماعية والإسلامية وأخبار العالم الإسلامي، وما فيه من أحداث وأمراض وعلل، وكان صاحبها **السيد رشيد**

(١) د. إبراهيم إمام: نفس المرجع ص١٧١.

رضا، رحمه الله، عالما غيوراً مخلصًا للإسـلام، محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح، وقف حياته لخدمة دينه والأمم الإسلامية، وكان شجاعًا فى الحق لا يهاب أحدًا، ولا يجامل ولا يحابـى. ونشأ على هذا واستمر فيه، إلى أن لقى ربه).

وقد اتخـذت المنار قول الـرسول ﷺ: (**إن للإسـلام صوى ومنـاراً كمـنار للطريق**) شعـاراً لها، أما غـرض المنار فـهو (إعداد الأمـة لهذا التـجدد، وأول رسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف عـلاجها وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة).

ويكتب الإمام **محمد عبده** عن المنار والاشـتراك فيها فيقـول: (الناس فى عماية عن النافـع، وانكباب على الضار، فلا تعجب إذا لـم يسرعوا بالاشتراك فى المنار، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل، وأعون على الخلاص من شر الغـابر، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلا، والفقراء لا يـستطيعون إلى البذل سبيلا، ولـكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل والسلام).

صحيفة (المؤيد):

(والمؤيد) من أهـم الصحـف المصريـة التى ظهـرت فى أول ديـسمبر سـنة ١٨٨٩م، وكان يحررها الشيخ **على يوسف**، ونالت صيتًا واسعًا وشهرة ذائعة، وكان صدورهـا لمواجهة صحـيفة **(المقطم)** الضالعـة مع الاحتلال البريـطانى، والتى كان يصدرها ثـلاثة من خريجى معاهد التبشـير فى الشام وهم: **يعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وفارس نمر.**

ومن الكتاب الذين اشتركوا فى تحرير **(المؤيد)** الشيخ **عبدالحميد الزهراوى**، والشيخ حامد إبراهيـم، **ومحب الدين الخطيب** الذى أصدر صحـيفتى (الفتح)

و(الزهراء)، وعمر منصور، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومحمد مسعود، والشيخ عبدالقادر المغربى، وحافظ عوض، ومحمد كرد على، ومحمد أبو شادى، وغيرهم.

عبدالرحمن الكواكبى:

بيد أن من أشهر الكتاب فى (المؤيد) عبدالرحمن الكواكبى، وهو سورى من حلب، وفد إلى مصر سنة ١٨٩٩م، وكان قد مارس الصحافة فى حلب فى صحيفة (فرات) الرسمية ثم فى صحيفة (الشهباء)، وصحيفة (الاعتدال)، ولقى فى مصر لفيفاً من أصدقائهم، منهم طاهر الجزائرى، وعبدالحميد الزهراوى، وكرد على، وفى مقدمتهم محمد رشيد رضا الذى قدم له مساعدات كثيرة، وعرفه بالشيخ على يوسف، وأفسحت له (المؤيد) و(المنار) صفحاتها لنشر مقالاته.

ومن أشهر ما أصدره الكواكبى كتاب (طبائع الاستبداد) الذى صدر على شكل مقالات متتابعة فى جريدة (المؤيد)، وقد استهدف الكواكبى من هذا الكتاب أن يكون صيحة مدوية توقظ النفوس وتحيى موات الهمم وتدفع الزعماء والمصلحين إلى الأخذ بيد الأمة الإسلامية والنهوض بها.

والكواكبى يكنى نفسه بالفراتى، ويقول: إن بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين بحثوا الوسائل للنهضة الإسلامية، فأخذوا ينشرون آراءهم فى ذلك فى الجرائد الهندية والمصرية والسورية والتتارية، ويقول: إنه اطلع على كثير من مقالاتهم فى هذا الموضوع، وقلدهم فى نشر ما عنّ له، ثم بدا له أن يعمل على توسيع هذا السعى بعقد جمعية من سراة الإسلام فى مكة مهد الهداية فعقد العزم على إجراء سياحة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الأفكار، وتهيئة الاجتماع فى موسم فريضة الحج.

فخرج من بلدته إحدى **مدن الفرات** فى أوائل المحرم سنة ١٣١٦هـ ثم سلك الطريق البحرى من **إسكندرونة إلى بيروت فدمشق ويافا والقدس والإسكندرية، فمصر والسويس والحديدة فصنعاء وعدن والكويت، وحائل فالمدينةومكة**، ووصل إليها فى أوائل ذى القعدة، فوجد الأفاضل الذين اجتمع بهم فى البلاد قد أجابوا الدعوة عدا الأديب البيروتى، ثم سعى لاختيار اثنى عشر عضوا أضافهم إلى الأعضاء من **مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجة سرايى وتفليس وتبريز وكابل وكشفر وقازان وبكين ودلهى وكلكتا ولفربول**، ثم تخيّر داراً فى حى متطرف **بمكة** يعقد فيها الاجتماعات بصورة خفية.

وبلغ عدد المجتمعين ـ كما تخيلهم الكواكبى ـ **ثلاثة وعشرين عضوا**، بما فيهم السيد الفراتى الذى عهدت إليه كتابة محاضر الجلسات، وتولى رئاسة الاجتماعات العضو المكى على أساس أن المؤتمر عقد فى بلده واتخذه المجتمعون شعارا: **(لا نعبد إلا الله)**.

وتعاهدوا على الجهاد والأمانة.

ومع أن هذه القصة يخيل للقارىء أنها من نسج الخيال؛ إلا أن **الكواكبى** يقول إن لها أصلا فى الحقيقة، وقوله هذا يزيد القصة إمتاعا، ويدعم خيالها ما يدير فيها من حوار، وما يجعل بين يديها من مقدمة.

(وكل سبب من أسباب الأعضاء المتفرقين يعللون به ضعف المسلمين ينتهى إلى أن يكون سببًا من ناحية ونتيجة من ناحية أخرى، وكل عرض من أعراض الجمود يجرى به الدور والتسلسل على هذه الوتيرة، **إلى أن تنتهى كلّها إلى** سبب الأسباب فى عقيدة الكواكبى كما نفهمها فى ديدنه فى التفكير وليس هناك سبب لجميع الأسباب غير الحكومة السيئة أو الاستبداد)(١).

---

(١) المرجع السابق نفسه ص١٠٤.

وعندما دعا الرئيس، السيد الفراتى (الكواكبى) وهو سكرتير المؤتمر لتلخيص المحاضر قال: إن فتور المسلمين يرجع إلى أسباب دينية أهمها: عقيدة الجبر، ونشر ما يدعو إلى التزهيد فى الدنيا، وترك السعى والعمل، وأسباب سياسية أهمها السياسة الخالية من المسئولية، وحرمان الأمة حرية القول والعمل وأسباب خلقية مثل الاستغراق فى الجهل، والارتياح إليه، واستيلاء اليأس على النفوس.

ووصل المؤتمر إلى أن المسلمين فى حالة فتور عام ويجب تدارك هذا الفتور. وأن جرثومة الداء الجهل، والدواء تنوير الأفكار بالتعليم، وإيقاظ الشرق للترقى وخصوصا فى الناشئة، وتأسيس الجمعيات التى تقوم بهذا العلاج[١].

عبدالله النديم:

وحين نعود إلى صحافة مصر فى القرن التاسع عشر الميلادى، نتوقف عند السيد عبدالله النديم، خطيب الثورة العرابية. وقد تولى النديم مهمة الإعلام للحركة الوطنية والدعاية لها، وإرشاد «الشعب إلى الطريق الصحيح إليها. وكانت خطبه وصحيفته وسيلته فى كشف الحجب التى أسدلت على عيون المصريين من مئات السنين، فلم يعودوا يعرفون من أمور أنفسهم ووطنهم شيئا؛ وأخذ يوجه الشعب الوجهة الوطنية الصحيحة فى عهده الجديد».

وكان النديم ملازماً لعرابى، يخطب فى الوفود التى تأتى إليه؛ ويناقش الأعيان والوجهاء الذين يجتمعون كل مساء فى منزل الزعيم؛ ويكتب مقالاً عنوانه: «وصية وطنية» يذكر المصريين بما لا قوه فى الماضى من قتل وصلب، وجلد ونفى وسجن، ويحذرهم من الدول الطامعة فيهم، التى لا تحب لهم التقدم ولا العلم أو العدل، ويشجعهم ويثبت قلوبهم؛ ويدعوهم إلى عدم

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص١٧٦.

الخوف من المدرعات التى وصلت إلى الإسكندرية لتهديد مصر، ويحدثهم عن الاستبداد الذى أفسد الأخلاق، وعن الممالك التى نالت حريتها بالجهاد والدماء، وعن الصلة بين مصر والخلافة العثمانية، وانتظام مصر فى الهيئة الإسلامية الجامعة لكلمة الدين.

ولقد أصبح معروفاً فى البلاد أن **النديم** هو «المتحدث بلسان ثورة الجيش، وأن جريدته تعبر عن سياسة الحركة العرابية؛ ولذلك طلب إليه الزعيم أحمد عرابى أن يطلق على جريدته اسماً جديدا هو (**لسان الأمة**)؛ بدلاً من (**التنكيت والتبكيت**)؛ لينطبق مفهومه على الوظيفة الجديدة، وأن يعلن رسميا أنها جريدة الحركة العرابية، وجرت بينهما مفاوضات فى هذا الشأن انتهت بأن أرسل عرابى إلى إدارة المطبوعات المصرية فى ١٧ أكتوبر ١٨٨١م الخطاب التالى:

«لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن (**التنكيت**) اقتضى تبديل جريدة (**التنكيت والتبكيت**) الأدبية التهذيبية، كما استقر عليه الرأى بالممارسة مع حضرة الفاضل **عبدالله أفندى نديم** محررها ومدير إدارتها باسم (**لسان الأمة**)، وأن يكون موضوعها سياسياً تهذيبياً للدفاع عن حقوق الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها.

«فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الأمل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرب المنيف اعتبارا من عددها التاسع عشر». وكتب **النديم** معلقا على كتاب **عرابى** يقول:

«بحمد الله تعالى تخلصنا من زمن «**التنكيت والتبكيت**» وأصبحنا فى زمن الحرية ومعرفة الحقوق، وهذا الذى قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشربها، فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة، بعد أن كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية وجعلنا تطالب بحقوق الأمة وتدفع ألسنة الأعداء عنها».

ويرجع أستاذنا د. **الحديدى**؛ أن الاسم الجديد الذى اقترحه أحمد عرابى

للصحيفة لم يرق للنديم، والنديم ـ كما لقبه الأستاذ عباس العقاد: ـ ملك العنوانات. فأصدرها باسم **(الطائف)**، ونحن نذهب مع أحمد تيمور باشا فى تعليله لتسمية النديم للصحيفةباسم **(الطائف)** تيمنأ **بالطائف** (فى الحجاز) وتفاؤلاً بأنها تطوف البلاد كما جابتها **(الجوائب)** لأحمد فارس **الشدياق**[1].

على أن اختيار النديم: **(الطائف)** اسما لصحيفة الثورة العرابية، يشير أيضا إلى الدلالة التواصلية مع الجهاد فى العالم العربى والإسلامى.

وسرعان ما احتلت جريدة **(الطائف)** المكانة الأولى من الصحف المصرية فى ذلك الوقت الذى شهد صدور صحف: **الأهرام، المفيد، الفسطاط، السفير، النجاح، المحروسة، العصر الجديد، الوقائع المصرية، البرهان**. وقد نالت صحيفة **(الطائف)** من الرواج والشهرة ما لم تنله صحيفة قبلها من التأثير على الأفكار، وبلغت منزلة فاقت فيها الصحف المعاصرة لها. وبدأت الصحف الوطنية والأجنبية تعتبرها مصدراً موثوقاً به، وأخذت «تنقل عنها الأخبار وتعيد طبع كثير من تصريحات النديم ومقالاته»[2].

وكانت جريدة **(الطائف)** ـ كما يقول **مستر بلنت** ـ التى يحررها رجل حاد نابغ هو **عبدالله النديم** تحمل حملة شديدة على الحانات والمراقص والمغانى التى هجمت على القاهرة تحت حماية الامتيازات الأجنبية فاستاء منها كل عربى.

هذا جانب من جوانب صورة الجهاد من أجل **التوحيد** فى مصر يتكامل مع ملحمة الجهاد فى تاريخ الصحافة العربية فى الوطن العربى.

صحيفة الأستاذ:

وحين نصل إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى، نلتقى

(١) أحمد تيمور: تراجم الأعيان ص١٧.

(٢) د. على الحديدى: عبدالله النديم، ص١٦٤.

بصحيفة (**الأستاذ**) التى أصدرها السيد عبدالله النديم، ليصور صوت الضمير الوطنى فى مواجهة الاحتلال، وصحفه، ومؤيديه.

وصدرت صحيفة (**الأستاذ**) سنة ١٨٩٢، وقد سبقتها إلى الصدور صحيفة **الأهرام** ١٨٧٥م، التى اعتمد عليها الوطنيون المصريون فى جهادهم ضد الاحتلال، وصحيفة (**المقطم**) التى اعتمد عليها الاحتلال البريطانى، فأمدها اللورد كرومر بالمال والأخبار والإعلان، عام ١٨٨٩م، وهى الصحيفة التى أوعز الإنجليز إلى أصحاب (**المقتطف**) أن ينشئوها صحيفة يومية لتنافس (**الأهرام**) وتعارضها وتحمى المصالح البريطانية. وفكر الوطنيون فى إنشاء صحيفة وطنية يكون فى مقدورها مقاومة (**المقطم**) ومحاربة الاحتلال، فاجتمع **لطيف باشا سليم الحجازى، وحسن باشا عاصم، وإبراهيم الهلباوى** وغيرهم، واستقر رأيهم عى أن يتولى حجازى باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة **على رياض** باشا، تحارب الاحتلال وتعلن أخطاءه وتنشّىء الأجيال على كراهيته. ولم ير رئيس الحكومة مانعا يحول دون إنشاء (**المؤيّد**) فصدرت فى أول ديسمبر ١٨٨٩م لصاحبها (**الشيخ على يوسف**) وما لبثت أن أصبحت مجالا للأقلام الوطنية الناشئة، فكان **مصطفى كامل** أحد كتابها المعروفين. وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها، وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية فى مقالات طويلة قد تبلغ الصفحة الأولى جميعا(١).

وبجانب (**المؤيد**) صدرت صحيفة (**الأستاذ**) فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م للسيد عبدالله النديم، كما تقدم، وما لبثت أن احتجبت لأن الجرائد الإفرنجية فى مصر وإنجلترا ـ كما يقول النديم ـ حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين، عدوّ للأجانب. وقد برم بها اللورد **كرومر** فأمر بإغلاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر».

---

(١) جريدة المؤيد فى ٨ مارس ١٨٩٢م.

فى العام نفسه صدرت مجلة (الهلال) ١٨٩٢م، لصاحبها (جرجى زيدان) الذى اكتسب خبرتـه الأولى فى العمل (بالمقتطف) سنة ١٨٨٥م، وهـاجر إلى القاهرة شأن أقرانه، ليـؤسس مجلة ثقافية، تحمل اسم (الهلال) عـلمًا عليها، ولكنه فى سبيـل ممالأة الأسرة (العلوية) فى مصر، تجنى علـى حقائق التاريخ، فنراه فى الجـزء الثامن من السـنة الأولى (أول إبريل ١٨٩٣م)، يصـدر المجلة بصورة لمحـمد على باشا (مـؤسس العائلـة الخديوية) فى باب (أشـهر الحوادث وأعظـم الرجال)، ونقـرأ له هجـوماً صريحًـا على أنـصار الشـيخ محمـد بن عبـدالوهاب، (ص٢٧٩ ـ ٢٨٨)، ليـبرر حمـلات (مؤسس الأسرة الخـدوية) تبريرًا يثـير مشاعر المسلمـين، على النحو الذى جـعل السيد **رشيد رضا** تلميذ الأستاذ الإمام **محمد عبده**، فى مجلة (المنار) ج٢، يقول عنه فى سياق تعليقه على كتـاب جرجى زيدان: (**تاريخ التـمدن الإسلامى**).. «ولكن ظهـر لنا مما كتبه بعد ذلك، ومن بعض حديثه معنـا ومع غيرنا من أصحابه، أنه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم».

وكان «**رشيد رضا**» من أشد مـعارضى زيدان، وهو مثـله مهاجر من لـبنان إلى مصر، وقد نشرت مجلة (المنار) هجوماً حادا على زيدان كتبه الشيخ الهند شبلى النعمانى، اتهم فيه زيدان بالعداء للعرب والإسلام»[١].

وترتفع نغمة الخصومة والمعركة بين **النديم** وبين الصحف غير الوطنية وعلى رأسها (المقطم)، فيكتب النديم تحت عنوان: «إنمـا يقبل النصيحة من وقف[٢] فيحـذر المواطنين مـن الصحف التـى تدعو إلى بـذر بذور الفتن بيـن الأجناس الشرقية وتصلى وتعبد الأمم الأوربية» وإذا كنت فى مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقـوق أميرك المؤيد الخديو، ويـوهمك أن صالحه موقـوف على ذلك فارفض قوله وحذِّر قومك منه، فإنما هو خادع بل عدوّ مبين.. وما ضر الشرق وفرق جمعه إلا أمـثال هؤلاء، فإنه تاجر يتـجر ببيع الأوطان فى سبـيل قمة أو ثوب أو مال»[٣].

(١) مصطفى نبيل: مقدمة؛ مصر والعالم سنة صدور الهلال.
(٢) الأستاذ ص٢١٤.
(٣) الأستاذ ص٢١٤.

ثم تزداد خطوط المعركة وضوحاً فى مقاله: «**لمَ تختلف كلمتنا إذا اتحدت وجهتنا؟**»[1] فيكتب عن الصحف التى ادعت الوطنية وهى فى الواقع تخدم الدول الأجنبية، فإذا بحث القراء تلك المواعظ وجدوها دخاناً صاعداً من خلال تراب ينذر باشتعال ما تحته من النيران.. هنالك يتبينون أن أفواه الكتاب ما انضمت إلا على نيوب صلٍّ يتحين غفلة النائم ينهشه نهشة يسرى منها سمه فى جميع الأعضاء.. هذه هى حال فريق من الجرائد فى الشرق بين عربية وإفرنجية. ترى كل جريدة أنها إنما أنشئت لخدمة الشرق وأهله.. ثم يتبين من خلال عبارات بعضها ما تخدع به الشرقيين وتدعوهم إلى الاستسلام للدخيل»[2]. ثم يضع الحدود الفاصلة بين الجرائد الوطنية الخالصة والصحف التى تدعو للاستعمار[3].

وتسوء العلاقات بين الصحفيين المصريين والنازحين من البلاد العربية الذين انضموا إلى الإنجليز يدافعون عن سياستهم، ويسميهم النديم (**الأجراء**)، وتشتد المعركة بين الصحف الوطنية الخالصة والصحف المناصرة لفرنسا من جهة، والموالية لإنجلترا، وعلى رأسها (**المقطم**) من جهة أخرى، ثم يعلن الحرب على المأجورين الذين يخدمون الأغراض الأجنبية فى ثوب الوطنية. ويكتب عن النزلاء الذين أتوا مصر لكسب العيش فاستعانوا بالقوة الحاكمة فولوهم المناصب وأقصوا عنها المصريين وأعانوهم على سلب أموال المصريين وتجارتهم[4].

لو كنتم مثلنا:

ويكتب النديم تحت عنوان: «**لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا**»[5]: «**أنا أخوك فلم أنكرتنى؟**: ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد، يسوء الاثنين ما ساء

(١) الأستاذ ص٢٦١. (٢) الأستاذ ص٢١٤.

(٣) د. على الحديدى: المرجع السابق ص٣١٥.

(٤) نفس المرجع ص٣٥٢ ـ الأستاذ ص٣٨٥.

(٥) نفس المرجع ص٣٥٣، الأستاذ ص٥٠٠٧.

أحدهما، فَلِمَ تنافرَ أبناؤهما وانحاز السوريون فى جانب بعيد عن المصريين وإن ساكنوهم فى مصر؟ ألـم يكن الأجدر بنـا أن نصرف علومـنا ومعارفنـا وقوانا العقليـة فى صلاح بلادنا وبث روح العلـم والحياة الوطنية فيـها؟ أبراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا فى خدمة الأجنبى لنعينه على إخوانـنا لينتقم منهم بغير ذنب ويجنى على غيـر جان. . ولو اجتـمعت كلـمتنا، وتـوحدت وجهتـنا، وائتلـفت نفوسـنا، وصفت بواطننا، وصرفنا هذه الهمم فـى وحدة الوطنيين، وإعلاء كلمة الجنس العربى، لحسدتنا المعالى ووقفت أورويـا تنظرنا بعين الإعظام والإجلال، ولكن قضت شقوة الشـرقيين أن يكونوا كحطب النـار يأكل بعضه بعضًا لينـتفع الغير بنارهم. . وأأسفاه علـى رجال قضى آباؤهم الدهور الطويلة يـتبادلون العمران والاستيطان لا يفرق بيـنهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهـم أجنبى، فجاءوا من بعدهم وخـالفوا سيرهـم، وحـالفـوا غيرهـم، وخـدمـوا الأجنبـى بمـساعدته علـى التداخل فى بلادهـم، بل علـى الاستـيـلاء عليهـا، لا لعـداوة بيـن الأمتيـن ولا لحرب جرت بين الوطنيين بل برغـيف يحصله الزبال زخرفةيملكها الشحاذ.

«وإن قيل إن جامـعة الدين[1] اضطرتهم، قـلنا إن عز الاستقلال بالـوطنية خير من الإذلال، فـإن الأجنبى يغر الرجل مـنا حتى يصل به إلـى غرضه، ثم يلحقه بغيره عـند تمام الاستيلاء، ولا يعرف له حقًا غير خدمـته، ولا يفرق بينه وبين من غـايره ديناً فى الاستـخدام والاستعباد. أنقـول هذا وقتاً فنحـصل فيه لذاتنـا البدنية البـهيمية ولا نـبالى، جاء المستـقبل على أهـلناوإخواننا بـالعز أو بالهوان؟. بئـس ما يختاره الرجل لنفسـه من أن يطعم لقمته مغـموسة فى دماء جنسه وإخوانه. . »[2].

(١) يشير إلى أصحاب المقطم والمستعمرين ،د. على الحديدى، المرجع السابق ص٣٥٣.
(٢) نفس المرجع ص٣٥٤.

وتحددت بمقالات النديم فى (الأستاذ) المعارضة الصحفية القوية ضد الاحتلال، وأخذت الصحف الوطنية تحذو حذوه وتسير على نهجه وتتبع خطاه[1].

رأى النديم تفكك الرأى العام وجهله نتيجة سياسة الاحتلال فكتب تحت عنوان: «**طريقة الوصول إلى تكوين الرأى العام**»، يطالب الكبراء والوزراء بأن يستقبلوا الناس ويعقدوا الاجتماعات، ويناقشوا الموضوعات الاجتماعية والسياسية، ومن الحسن أن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد، وقد أضيفت الكلمة إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها[2].

وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾**[3].

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[4].

---

(١) المرجع السابق نفسه ص٣٥٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٩٨ ـ الحوفى: المرجع السابق. ص٤٩.

(٣) الأنفال: ٥٦.

(٤) النحل: ١٢٧ ـ ١٢٨.

الفصل الثالث

المقاومة الصحفية ومفهوم «الوحدة»

كان للإحساس بالمقاومة وقر شديد فى نفوس المصريين يحرك اتجاهاتهم الوطنية والسياسية، مما عرفناه جليا فى سيرة الصحافة المصرية.

ذلك أن الثورة العرابية، التى تمثل فيها الرأى العام المصرى الناشىء، جاءت نتيجة لهذا الظلم الذى ناء به المصريون وباعد بينهم وبين الأسرة الحاكمة. أو بعبارة أدق، كان هذا الظلم أهم عامل حرك الرأى العام فى ثورة، انتهت إلى المطالبة بحق الأمة فى الدستور والحكم النيابى والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات، تلك المساواة التى «يكفلها الدستور كما يكفل العدالة للجميع أمام القانون»(١).

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن القول إن **الدوافع التى أدت إلى ظهور الرأى العام فى مصر**، كانت هى نفسها العوامل التى أدت إلى قيام الثورة العرابية، **وأول هذه العوامل**: «التدخل الأجنبى فى مصر، الذى كان من آثاره ظهور المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية. وصندوق الدين. والمراقبة الثنائية. والوزارة الأوربية، وما إلى ذلك من الأحداث الهامة المعروفة فى تاريخنا المصرى الحديث، وهى الأحداث التى أثارت شعور المصريين، وأحفظتهم إلى حد بعيد **وثانى هذه الدوافع**: استبداد الحكم المصرى منذ أيام محمد على استبدادا قويا كان له أثره فى نفوس الشعب فى ذلك الوقت(٢).

والثالث: من هذه الدوافع: تلك الأزمة التى حدثت بين الخديو والباب العالى بسبب جفوة دبّت بينهما، وذلك عندما رغب إسماعيل فى الإستقلال عن تركيا. ففى أثناء هذه الأزمة طفق الباب العالى يندّد بأعمال إسماعيل ويكيل

---

(١) نفس المرجع ص٢١، ٢٢، لطفى السيد فيلسوف أيقظ أمة؛ هيئة الكتاب، السابق.

(٢) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة، هيئة الكتاب.

ضده التهم الخطيرة. وقد استنبطت جريدة البروجريه الفرنسية من ذلك: «أن المصريين بدءوا يهتمون بالسياسة[1]، فإنهم بدءوا يترقبون الأخبار الواردة من الآستانة، ويعلقون عليها، وأن الرأى العام بدأ يتكون فى مصر».

والرابع: من تلك الدوافع: الدستور الذى منحه السلطان عبدالحميد الثانى فى تركيا، فقد شجع ذلك المصريين على المطالبة بمثل هذا الدستور[2] على أن الحركة الدستورية فى مصر لم تكن وليدة الظروف التى ساقت إليها، وأولها الأزمة المالية والتدخل الأجنبى، بل أعمق جذوراً من ذلك، إذ ترجع إلى ظهور طبقة جديدة من الأعيان المصريين أتيح لها أن تشارك مشاركة محدودة فى شئون البلاد عن طريق مجلس شورى النواب الذى كونه إسماعيل ليبدو فى نظر الغرب حاكما دستورياً مستنيرا، كما ترجع إلى حركة فكرية جديدة كان رائدها جمال الدين الأفغانى أسهمت بدورها فى دفع هذا الرأى العام، وغذتها صحافة ناشئة نشطة وشباب مستنير أخذ يلتف حول داعية الشرق العظيم ـ كما تقدم ـ وكان لامتداد الموجة الغربية إلى مصر واتصال مصر بأوربا وظهور طائفة من الشباب تعلم فى الأزهر وفى المدارس الحديثة أثرها البعيد فى ذلك، فقد أخذ هذا الشباب يعنى بشئون بلاده ويبرم بالسياسة العشوائية التى يسير عليها إسماعيل، ولا يجد متنفسا لإعلان سخطه على استبداده وجوره إلا فى مجالسه وندواته الخاصة التى وجد الأفغانى فيها أعظم منتدى لأفكاره وتعاليمه.

وعلى ذلك يمكن القول إن التقاء التيار الأوربى بالتيار الشرقى إلى جانب هذه العوامل قد هيأ الجو لظهور الرأى العام المصرى، وتكوين العقل المصرى الحديث. وهى كما يتضح نفس العوامل التى أدت إلى قيام الثورة العرابية لتعبر عن ذلك كله.

ونخلص من ذلك إلى أن هذه البيئة هى البيئة الفكرية والسياسية

(١) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.

(٢) د. عبداللطيف حمزة: السابق ٣ ص١٢ ـ نقلا عن كتاب تاريخ العصر الحديث لمحمد صبرى ص١٤٤ ـ البروجريه ٢٥/ ١٢/ ١٨٦٩.

والاجتماعيـة الصالحة لظهور الفن الـصحفى بوجه عام، وفن المقـال الصحفى بوجه خاص.

ذلك أن أهـم مظهـر من مظـاهر تلـك البيـئة هو ظـهور **الصحافة الـشعبية** الحقيقية، كـما تقدم، وقد صدرت **جريدة وادى النيل** سنة ١٨٦٦ ـ فـى نفس السنة التـى أنشأ فيها إسماعيل مـجلس شورى النواب ـ وكانت هذه الـصحيفة شعبية من حيث الشكل فقط، ولعـل إسماعيل قد أوحى بإصدارها إلى **عبدالله أبى السعود** لـكى يحارب بها التدخل الأجـنبى والدولة العثمانية، ولـكى يظهر بالمظهر الأوربى الذى كان يرنوا إليه. وأبلـغ دليل على ذلك أنه لم يطق جريدة **نزهة الأفكار لعثمان جلال وإبراهيم المويلحى** فأغلقها بعد صدورها مباشرة سنة ١٨٦٩. وأمـا **جريدة الأهرام** الصـادرة سنـة ١٨٧٥، وجريـدة **مصـر لأديب إسحق** الصادرة بوحى من **جمال الدين الأفغانى** سنة ١٨٧٧، وجريدة **التجارة** لأديب إسـحق وسـليـم نقـاش الصـادرة فى سـنة ١٨٧٨، وجـريدة **التنكيت والتبكيت** الصادرة سنة ١٨٨١ بقلم الـصحفى الثائر **عبدالله النديم** ـ فهذه هى الصحـف الشعبية الحقيقية التى فتحت صدرها لكتاب المقال الصحفى.

ومن ذلك ـ وعـلى سبيل المـثال لا الحصر ـ أن الـدور العظيم الـذى قام به **محمد عبده** فى التمهيد للثورة، كان من خلال مقالاته فى **الأهرام**. ولعل هذا ما حمل **الخديو توفيق**، عندما نفى **الأفغانى** من مصر، عـلى أن يأمر **محمد عبده** بالإعتزال فى قريتـه التى لم يغادرها إلى القاهرة حتـى ١٨٨٠، حين عينه رئيس الوزراء **رياض بـاشا** فى بـادىء الأمر محـرراً فى **«الوقائع المـصرية»** ثم رئيسا لتـحريرها. وخلال سنتى الأزمة الـلاحقتين، لعب دوراً هامـا فى توجيه الرأى العـام بسلسلـة من المقالات عن الـنظام الاجتماعـى وخاصة عن التـربية الوطنية[1] كما تقدم.

على أن ظهور هذه الصحـف الشعبية بلغ بفن التحرير الـصحفى شأوا بعيداً من الرقى والتقدم، فقد كانت تكتب باللغـة العربية الفصحى، وكتب قليل منها

(١) حورانى: المرجع السابق ص١٦٦.

باللغة العامية، التى يفهمها الشعب المصرى، وقد عنيت جميعا بترقية اللغة العربية، كما أدى لجوء بعض الصحفيين الوطنيين المطاردين من قبل السلطة فى مصر إلى فرنسا، إلى الكتابة بحرارة «أكثر، وتدفق أعظم، وحرية أوسع، فجاءت كتاباتهم فى خارج مصر أجل وأوقع وأقرب إلى النضج الصحفى والنضج الأدبى من كتاباتهم». وكان من هؤلاء الأستاذ الإمام **محمد عبده**، الذى اشترك مع أستاذه **جمال الدين** فى إصدار وتحرير **«العروة الوثقى»** من باريس، والتى «أزعجت الإنجليز»، فحاربوها ومنعوها من دخول الهند». كما اتجهت هذه الصحف الشعبية بالمقال الصحفى إلى أن يعبر بصدق عن «الرأى العام الشعبى» فى مواجهة **«الرأى العام الرسمى»** الذى عبرت عنه المجالس النيابية والحكومات المصرية.

الأستاذ الإمام والعروة الوثقى ١٨٨٤[(١)]:

وكان لهذه الصحيفة أهداف تنحصر فيما يلى:-

أولاً: إفهام الشرقيين جميع الواجبات التى كان التفريط فيها موجباً لسقوطهم، وبيان الطرق التى يسلكونها لإدراك ما فات.

ثانياً: إفهام الشرقيين كذلك أن الأمل فى النجاح قريب ولا داعى فى بلوغ ذلك إلى قطع دائرة عظيمة، تصورها يوجب الفتور ويحط من العزائم.

ثالثاً: دعوة المسلمين كافة إلى التمسك بالأصول التى كان عليها الآباء والأسلاف. فلا يصلح آخر هذا الأمر (يريد أمر الدين) إلا بما صلح به أوله.

والمثل الأعلى للمسلمين فى نظر العروة الوثقى هو ما كان عليه الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين.

رابعاً: إبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى مضمار الحياة ما داموا متمسكين بدينهم لأن دينهم فى نظر من لا يفهمونه من الأوربيين يدعو إلى التواكل.

---

(١) د. عبداللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص٤٧.

خامساً: تقوية الروابط بين الأمم الشرقية وتأبيد المصالح المشتركة بينهم.

سادساً: وصل الشرقيين بما يهمهم من الأخبار العامة والأخبار الخاصة. ووصلهم كذلك بسياسة الدول الأجنبية تجاه الشرق.

صرح الرجلان بأهداف الجريدة بهذه الطريقة الصريحة الجريئة، فسرت بين الشرقيين سريان البرق. وتنافسوا جميعاص فى اقتنائها وتسابقوا كذلك فى اعتناق أفكارها وآرائها. ونجحت الجريدة بالفعل في شفاء المسلمين من مرض (الوهم) الذى تسلط على نفوسهم وخيل إليهم أنهم أصبحوا لا يستحقون نعمة الحرية.

وفى مجال هذه الأفكاروالآراء دارت مقالات الشيخ محمد عبده التى نشرها فى **العروة الوثقى**، وحملت هذه المقالات طابع الدرس والشرح لجميع العلل التى أصابت العالم الإسلامى فى ذلك الوقت وكان من أخطر هذه العلل فى نظر الشيخ سوء فهمهم (لعقيدة القضاء والقدر) - أو على الأصح - سوء فهم الأوروبيين لهذه العقيدة التى يعتنقها جمهور المسلمين، واعتقاد أولئك الأوروبيين أنها سبب فى تأخر المسلمين ووقوعهم فريسة للاستعمار الأوروبى الذى زعم أنه يقودهم إلى العلم والحضارة.

قال الشيخ:

«الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد من شجاعة الجبر تتبعه صفة الجرأة والاقدام، وخلق الشجاعة والبسالة، ويبعث على اقتحام المهالك التى ترتجف لها قلوب الأسود وتنشق منها مرائر النمور. هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره، ومقارعة الأهوال، ويحليها بحلى الجود والسخاء، ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها. بل يحملها على بذل الأرواح والتخلى عن نضرة الحياة، كل هذا فى سبيل الحق الذى دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة».

يقول الأستاذ عمر الدسوقى إن جريدة (العروة الوثقى): «دليل آخر على أن عزيمة السيد جمال الدين لا تفتر، وعلى أن اليأس لم يبلغ فى نفسه مبلغاً يثنيه عن أداء رسالته، وقد كان من رأى الشيخ محمد عبده أن هذا الجيل من المسلمين، الذن يدعونه للرشاد واليقظة جيل فاسد لا رجاء فيه، وأن الأولى أن تنشأ مدرسة يربى بها عدد محدود من خيار الشباب يقودون الأمة فيما بعد لما فيه خيرها ونفعها، ولكن هذه الفكرة لم ترق للسيد، ورأى فيها تثبيطا للهمم، حتى ليبدو متعجّلاً قطف الثمرة لهذه الغراس التى أودعها المتصلين به، وأصر على أن يوجه الدعوة إلى الجيل الحاضر من الناس فى صورة جريدة العروة الوثقى، يكون له فيها الفكر المدبر والعقل المسيطر، وللشيخ محمد عبده القلم المحرر واللسان المعبر، ولميرزا محمد باقر الترجمة من الصحف الأوربية، ونقل كل ما يهم الشرق والإسلام[(١)]: وصدر من الجريدة ثمانية عشر عدداً، كانت شعلة ملتهبة متوهجة من الحماسة والآراء الحرة الجريئة، وكانت حربا شنها جمال الدين وزميلاه على الاستعمار الجشع؛ وكان طبيعياً أن يحاربها الاستعمار خشية أن تفسد عليه تفرده بالغنيمة وقتله الشعوب التى وقعت فى قبضته، فمنعها من دخول الهند ومصر[(٢)]. ولما شعر السيد وزميلاه أن الأعداد لا تصل إلى أصحابها إلا فى النادر، وأنه قد حيل بينهم وبين وصول صورتهم إلى آذان الناس فى مصر والشرق عطلوها، وإن لم يمت أثرها حتى اليوم.

سميًا الجريدة: (العروة الوثقى) لتكون لسان حال الجمعية السرية التى أسساها لتكون أداة من الأدوات القوية فى أداء رسالتهما. فكانت الصحيفة الأولى فى مادتها ولغتها ومعانيها ومراميها وقوة انتشارها، على ما كانت تحاط به من الرقابة الإنجليزية الواعية.

يعرف بالبداهة أن هذه الجمعية السرية كانت تمد الجريدة ماديا بما تستطيع،

---

(١) تاريخ الإمام جـ٢ ص٢٢٩، والمنار جـ٨ ص٢٥٥.

(٢) المنار جـ٢ ص٤٦٢ ومشاهير الشرق جـ٢ ص٥٧. عمر الدسوقى: الأدب الحديث جـ١ ص٢٧٠.

كل علـى قدر طاقته، فـصدر منها ثـمانية عشـر عددا، أولها فى الخـامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ، وآخرها فى الـسادس والعشرين من ذى الحجة من العام نفسه.

وعلـى هذه الأسـس قامـت جريـدة (العروى الـوثقى)، تنـظر إلـى العـالم الإسلامى كله على أنه وحدة. . مع مراعاة جانب الشرقيين عموما. وقد قالت فى ذلك:

«بلغ الأجـحاف بالشـرقيين غايـته، ووصل العدوان فـيهم نهـايته، وأدرك المتغلب علـيهم نكايته، خصوصا فى المـسلمين منهم، فمنهـم ملوك أنزلوا عن عروشهم جورا، وذوو حقـوق فى الأمرة حرموا حقوقهم ظلـما، وأعزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسـوا فقراء، وأصحاء أضحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما. .».

ثم تؤكد فى كل مناسبة أنها للشرقيين عامة. ومن ذلك قولها: «. . . عملها (الجريدة) سكـب مياه النصح علـى لهيب الضغائن، لـتتلاقى قلوب الشـرقيين عموما علـى الصفاء والوداد. تلتمـس من أبناء الأمم الشرقية أن يـلقوا سلاح التنازع بنهم، ويـأخذوا خذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى الـتى فغرت أفواهها لالتهامهم».

ومن المعروف أن السيد **جمال الدين الأفغانى** لم يكن يكتب بـيده شيئا، وإنما كان يملى ما يريـد إملاءه على من يكتب له. غير أنه فـى (العروة الوثقى) كان يدرس فكرة كل مقال مع الشيخ **محمد عبده** إلى أن تستوى الدراسة وتنضج، ثم يترك للشيخ الكتابة وحده.

وصف الجريدة:

وقد كثر الواصـفون للعروة الوثقى فـى أيامها. وممن وصفوها حـق وصفها الأمير شكيب أرسلان. وصفها فى معانيها، ووصفها فى أسلوبها.

قال فى الوصف الأول:

ومـــعـــان لـــو أوحـــيـــت لجـــمـــاد
هـــزه الـــشـــوق نـــحـــوهـــا والـــغـــرام

حـــيـــرت كـــل ذى حـــصـــاة إلـــى أن
قـــيـــل لاشـــك إنـــهـــا الـــهـــام

وقال فى وصفها الثانى:

كـلام إذا ألـقـيـتـه فـى جـمـاعـة غـدا
مـنـك مـثـل الـلـؤلـؤ الـرطـب يـنـسـق

عـلـيـه مـن الـنـور الإلـهـى مـسـحـة
تـكـاد عـلـى أرجـائـه تـتـألـق

١- روى السيد رشيد رضا أنه سمع من محمد بك على قوله:

«كنت فى بغداد فى عهد صدور **العروة الوثقى**، وكانت ترسل إلى الزعيم العربى الأكبر السيد سليمان الكيلانى نقيب السادة الأشراف، وكان يقول كلما جاءه عدد منها: يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة، قبل أن يجيء العدد الذى بعد هذا:

٢- كما روى السيد رشيد أيضا - «سمعت أستاذنا الشيخ (حسن الجسر) - عالم سورية الوحيد فى الجمع بين العلوم الإسلامية، ومعرفة حالة العصر السياسة والمدنية - يقول:

(ما كان أحد يشك فى أن جريدة **العروة الوثقى** ستحدث انقلابا عظيما فى العالم الإسلامى لو طال عليها الزمن).

٣- ويقول لنا السيد رشيد رضا:

(والذى علمته عن نفسى بالخبرة، ومن غيرى بالخبر، ومن التاريخ، أنه لم

يوجد لكلام عربى فى هذا العصر، ولا فى قرون قبله ما كان لها (الجريدة) من إصابة مواقع الوجدان من القلب، والاقناع من العقل.

٤ـ ويحدثنا السيد عبدالقادر المغربى عضو مجمع اللغة العربية:

«. . . فالأفغانى وعبده كانا يريدان أن يكون لهؤلاء الضعفاء المسلمين ـ دولة قوية مع مراعاة تعالِم الإسلام، هذه الفكرة التى تلقفتها من العروة الوثقى اختمرت فى نفسى، واستولى سلطانها على شعورى وحسى، فأعطيت العروة كل وقتى، دراسة وتفهما».

هذه بعض أقوال المعاصرين للعروة الوثقى ـ فى تقديرهم لها، وفى أثرها فى نفوسهم، وما تركت فى ذلك أكثر مما ذكرت.

يقول الأستاذ حسن الشيخة:

«وإن تعجب فعجب، أن يثور الإنجليز على جريدة كانت لم تظهر بعد. وكان من أمرهم فى ذلك أن مراسلى صحفهم فى باريس علموا أن جريدة للسيد الأفغانى والشيخ محمد عبده ستظهر فى هذه المدينة، فأخذوا ينقلون هذا الخبر إلى لندن وكأنه من الأخبار الدولية الهامة. . ! حاثين دولتهم على محاربة هذه النية من الرجلين، ولكن الله قدر للجريدة أن تظهر، وأن تنتشر، فترسل إلى مصر والهند والسودان والعراق وشمال إفريقية وسورية والملايو، وغيرها، ولكن الإنجليز كانوا يتعقبونها خطوة خطوة ـ إلى أن حملوا مجلس وزراء مصر على أن يمنع دخولها. وقد جاء فى عددها التاسع (٢٥ رجب سنة ١٣٠١) الخبر الآتى:

«انعقد مجلس الوزراء بالقاهرة، واهتم بالبحث فى شأن (العروة الوثقى)، ثم أصدر قرار منع الجريدة من دخول الأقطار المصرية.

ثم أخذوا يقفلون الأبواب الأخرى فى وجهها، فمنعوا دخولها الهند والسودان، وكل بلد لهم نفوذ فيه، فلم يجد الرجلان العظيمان بدا من أن

يقفاها عن الصدور، وبذلك انتهت رسالتهما فى باريس، ثم افترقا إلى الأبد، ولم يلتقيا.

لغة الجرائد واتجاه التجديد:

على أن هذه المرحلة فى تاريخ الصحافة المصرية تشهد مولد اتجاه تجديدى قوى فى مواجهة الاتجاه الكلاسى القديم، يخط معالم جديدة للتطور، ويدفع النهضة إلى استلهام التراث القديم فى عصور الازدهار ويعيد النظر فيه، ويوازن بينه وبين تراث الأمم الأخرى فى سياق المقاومة الوطنية، فحاولت جاهدة أن تتحرر من الأساليب التقليدية الموروثة، وأصبحت المدرسة التجديدية قادرة على استخدام فنون التحرير الصحفى بلغة هى مع ذلك «أصلح لكتابة الأدب أو الكتب منها لكتابة الصحف». وترتبط هذه المدرسة التجديدية فى بيئتها العامة، بدعوة السيد جمال الدين الأفغانى، ونشأة الحزب الوطنى الأول، وروح الثورة التى سبقت الثورة العرابية؛ وكان لهذه البيئة أثرها فى بلوغ المقال الصحفى «رقيا ظاهرا فى الموضوع، ورقيا أشد منه ظهوراً فى الأسلوب». فاتسعت دوائر الاهتمام فى موضوع المقال لتشمل إلى جانب الاهتمام الأدبى أو الثقافى جوانب أخرى تتصل بالمجتمع، وبالأخلاق، وبالشورى وبالسياسة، وبالفتن الداخلية والخارجية. إلخ. كما ارتفع الأسلوب كثيرا عن المستوى الذى انتهت إليه المدرسة التقليدية الأولى، حيث تحللت هذه المدرسة التجديدية من قيود السجع إلى حد بعيد، وأخذت تقترب شيئا فشيئاً من لغة الشعب»(١). وذلك بتأثير من الأستاذ محمد عبده وحركته الإصلاحية. الذى استطاع ومعه سعد زغلول وعبدالكريم سلمان «أن يكتبوا فصولا لا تخلو من آثار القديم، فيها السجع وفيها تكلف البديع والبيان، ولكنها بعيدة كل البعد عما كان يكتب فى أوائل القرن الماضى وفى منتصفه أيضا، فيها حرية لفظية ومعنوية ظاهرة، وفيها اختيار الحر من اللفظ واجتناب المبتذل، وفيها طموح إلى الجديد لم يكن يألفه الكتاب المصريون من قبل». بحيث كان التقليديون

(١) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقى ص٧٠.

يقع أسلوبهم تحت وطأة التشبيه القديم والمثل الموروث، ولكنهم فى مواجهة التجديديين اتجهوا اتجاها كلاسيا جديدا يرجعون فيه «باللغة إلى ما قبل العصر العباسى، أو إلى عصور الصحة والسلامة والبراءة من الفساد والعجمة، ولكن هؤلاء الكتاب، ومنهم توفيق البكرى، غلبت على فنهم الأدوات الموروثة من عهد بعيد مما حدا بالأستاذ العقاد إلى أن يقول: «إن الصنعة أفسدت الطبيعة»(١) أما السجع فقد بدا يتراجع تحت وطأة الهجوم المستمر لكتاب العصر. ومن الطريف أن تجد كاتبا كالشدياق يهاجم السجع بقوله «السجع للمؤلف كالرجل من الخشب للماشى، فينبغى لى ألا أتوكأ عليه لئلا تضيق بى مذاهبه»(٢). ولكنه يتمسك به فى كثير من مقالاته التى جمعها فى كتابه: «الساق على الساق». ومن الواضح أن الهجوم على السجع كان من جانب كتاب الصحف الذين اضطروا بحكم وسيلتهم إلى أن يتخلصوا منه، خاصة إذا كانت الكتابة تتعلق بالأخبار والأحداث(٣). وفى مواجهة اتجاه التجديد، شحذ أصحاب المدرسة الكلاسية ثقافتهم اللغوية حرصا على اللغة العربية وحماية لها من الحرية والتساهل والمحافظة على الأصول، والحملة على التجديديين من الكتاب الذين كانوا يضطرون أحيانا إلى استخدام ألفاظ ومصطلحات لم ترد فى متون اللغة. وذلك ما نراه عند إبراهيم اليازجى فى السنة الأولى من مجلته (الضياء) سنة ١٨٩٩، حين ينشر سلسلة مقالات فى لغة الجرائد، ثم فى السنة الثانية منها سلسلة أخرى فى أغلاط المولّدين. وفى كلتا السلسلتين جرى مجرى الحريرى فى كتابه «درة الغوّاص» فكان يشدّد فى نقده حتى ليمنع الصحيح إذا كان أضعف اللغتين. ومن قوله فى لغة الجرائد: «لا نزال نرى فى بعض جرائدنا ألفاظا قد شذت من منقول اللغة فأنزلت فى غير منازلها واستعملت فى غير معناها، فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك. والعجب أنك كثيرا ما ترى أناسا من متقدمى الكتاب يعتمدون أحيانا

(١) عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم ص٦١.
(٢) الساق على الساق ص٥٢ وما بعدها.
(٣) الدكتور ماهر حسن فهمى: محمد توفيق البكرى ـ أعلام العرب هى ١٣٦.

التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر أهل الصناعة، حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة يقتضى معجما بحاله. ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة على أيدى أنصارها والموكول إليهم أمر إصلاحها، وهو الفساد الذى لا صلاح بعده، رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولا وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة»[1]. ونحن لا ننكر على الكلاسيين غيرتهم على اللغة ولكننا نأخذ عليهم ما أخذه الخفاجى على الحريرى من تقيدهم الحرفى أحيانا بظواهر النصوص أو رفضهم القياس والمجاز أو انحرافهم إلى مذهب دون مذهب، من مقتضيات لغة الاتصال بالجماهير. ولذلك يحرص الأستاذ الإمام على معالجة مشكلة الكتابة؛ التى أخذ عليها أن تكون «مغلقة الألفاظ، غامضة المعانى، مختلة التراكيب، لا يقتدر المطالع على حل رموزها، ولا تمكن من فك طلسماتها إلا بعد أن يجهد نفسه ويمعن الفكر، ويدقق النظر، ومع ذلك لا يخلو الحال من الخطأ فى فهم المقصود مما نواه الكاتب منهم»[2] واشترط لصحة الكتابة أن تكون سهلة العبارة واضحة المقصود، وإن كانت بالألفاظ الملحونة، وأن يكون موضوعها واحداً، خالية من التقييد والتطويل مما لا يحتاج إليه الكلام»[3].

ومن ذلك يبين أن بدايات التجديد فى الصحافة العربية، قد انتشلت لغة الكتابة من وهدتها، وبثت روح الحياة فيها، وإن ظلت الصحافة تكتب بطريقة أدبية عالية، مما جعل «الفاصل بين الصحف الأدبية والصحف الخبرية غير واضح تماما فى هذا الجيل، لأن معظم المحررين، كانوا يكتبون بلغة أدبية»[4]، ولعل صدور الصحف اليومية قد عجل فى وضع هذا الفاصل، ولم يعد هناك متسع للتأنق فى العبارة، وكان أسبق الصحف اليومية إلى الظهور «الوقائع

(١) لغة الجرائد. علم الإعلام اللغوى؛ مؤسسة لونجمان ومكتبة أبو الهول ـ القاهرة.

(٢) الوقائع المصرية: ١٠ ربيع الأول ١٢٩٨هـ.

(٣) نفسه.

(٤) الدكتور محمد فياض: الصحافة الأدبية ص١٠.

المصرية» وقد تولى الأستاذ الإمام تحريره فى ١٩ أكتوبر ١٨٨٠ ثم تلاها فى الأهرام فى ٣ يناير ١٨٨١، وهنا نجد أن الأستاذ الإمام قد خطا بالتحرير الصحفى خطوة كبيرة، تجعلنا نتصور خطا فاصلا بين مدرستين أولاهما **تقليدية** والأخرى تخطو خطوات سريعة نحو **التجديد**، الأولى تعيش القرن التاسع عشر، والأخرى تستشرف مطلع القرن العشرين، وليس الأمر بالنسبة إلينا كذلك فقط، لأن الأستاذ الإمام يقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض **بالمدرسة التجديدية فى مرحلة الجهاد الوطنى من مراحل الصحافة المصرية**، والذى يرتبط بالبيئة الحديثة، التى فى تمثلها التيارين القديم والحديث جميعا، والتى تتمثل كذلك اتجاهات الإمام الوطنية والتطورية والمصرية «المتأصلة الجذور فى تقاليد بلاده»[1] منذ بشر بهذا العنصر القومى فى مقاله الأول بجريدة **الأهرام** عن **الماضى العظيم لمصر** [2]، والذى تغذيه روابط التاريخ والمصالح المشتركة بين الذين يعيشون فى البلد الواحد رغم اختلاف الأديان، واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية؛ وأن أقوى نوع من أنواع الوحدة القومية إنما هو وحدة الذين ينتمون إلى البلد الواحد، أى ذلك المكان الذى لا يعيشون فيه فحسب، بل يجدون فيه أيضا مجالاً لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة وموضوعا لمحبتهم وعزتهم[3].

محمد عبده والتحرير الصحفى:

وعلى ذلك فإن الدور الذى قام به الأستاذ الإمام بالنسبة للتحرير الصحفى يرتبط بنواح ثلاث: **الاصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى**. أما **الأمر الأول** فهو أمر عظيم كما يصفه فى حياته: **تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة**، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى. . وأما **الأمر الثانى فهو إصلاح أسلوب اللغة العربية فى التحرير**: «وهناك أمر كنت من دعاته والناس جميعا فى بعد عن تعقله: ذلك

---

(١) ألبرت حورانى: مرجع سبق ص١٩٢.

(٢، ٣) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ٢ ص١٥ ـ ج١ ص٨.

هو التمييز بين ما للحكومة مـن حق الطاعة على الشعب. وما لـلشعب من حق العدالة على الحكومة.

«جهرنا بهذا القول والاستبداد فى عنـفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أى عبيد».

هذه بـعض جـوانب الإصلاح الـتى نهـض الأستـاذ الإمام للـعمل عـليـها وتحقيقها، من خلال مذهبه الاجتمـاعى والاصلاحى. إذ النضج السياسى لديه لا يتم إلا بالتعليم وخـاصة التعليم الاجتماعى والصحافة النـزيهة وتربية القادة فى مجلس الشورى وأمثاله[١]. فمذهبه فى الصحافة الوطنية يعتمد على العقل لا العاطفة ومثله فى هذا لا ينجح «فى الدعاية السياسة التى تعتمد على الشعور وإلهاب العواطف»[٢].

(١، ٢) محمـد رشيد رضا: مرجع سابق جـ ١ ص ١١ ـ ١٢ الـدكتور إبراهـيم إمام : دراسات فـى الفن الصحفى ص ١٩٨ .

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال

١٨٨٩ ـ ١٩١٤

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال (١٨٨٩-١٩١٤)

يرى الدارس لحركة المقاومة فى الصحافة المصرية أن العوامل التى طورت التحرير الصحفى عما كان عليه فى صحافة النشأة، وخلصته من المماحكات اللفظية قد اطّرد نموه، وتضافرت على توجيهه وجهة أخرى غير الوجهة التى رأيناها عند التقليديين فى صحافة النشأة الأولى. وخلاصة ما يقال فيها إن حركة التجديد فى الصحافة قد وليت حركة اليقظة فى أوجها عند الأستاذ الإمام، وسارت فى تواز مع مسار الحركة الوطنية. وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور نوع جديد من أدب المقالة، وهو المقال السياسى. وقد برع الكتاب فى المطالبة باستقلال الشعب وإزاحة الاستعمار عن كاهل المصريين واتسعت دائرة المقالة وتعددت ألوانها فظهرت المقالة الأدبية والمقالة الاجتماعية والمقالة النقدية[١]. وليس من شك فى أن الصحافة صاحبة الحظ الموفور فى نشر الأدب والعلم وإنشاء النثر الحديث، ونعنى بالصحافة، ما يذهب إليه طه حسين، من أنها الصحافة كلها يومية وأسبوعية وشهرية. وحسبنا أن نلاحظ مع الدكتور طه حسين أن الصحافة المصرية إن كانت قد بلغت من القوة فى هذه الأيام حظا موفوراً، فهى بعد لم تستطع أن تتجاوز السياسة، وهى إن أثرت فى الأدب فمن طريق السياسة ومن السعى إلى السياسة[٢]. فأما الصحافة الأدبية والعلمية الخالصة، فإنها كما يذهب طه حسين، صحافة ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين «وتجد فى تضييفها إياهم حياة وقوة».

الصحافة الوطنية وسياسة الاحتلال:

ساعد على فعالية المقاومة فى الصحف الوطنية تخطيط سياسة الاحتلال

---

(١) عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص١٢.

(٢) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقى ٦٨، ٦٩. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، ص٦٥.

الذى وضعه اللورد «**دوفرين**» وطبقه **كرومر** والذى تضمـن: ترك شىء من الحرية النسبية للصحف تنفيساً عما قد يعنّ لمحرريها من آراء وملاحظات قد تفيد منها سلطات الاحتلال ـ مع إغفال قانون المطبوعات. ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاتة اللورد وجدت صداها وتحققت معانيها حتى أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالاً تاماً ونالت مصر حرية صحفية لم تعرف فى شمال إفريقيا أو غرب آسيا»[١].

صحيفة المقطم:

وتحقيقا لهذه السياسة ذهب **كرومر** إلى أن تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لا ضمنا وتدافع عن أعماله وترد على معارضيه؛ وفى مقدوره أن يؤيدها ماديا وأدبيا، فأوعز إلى أصحاب «**المقتطف**» أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية، تعبر عن المصالح البريطانية كما كانت **الأهرام** تعبر عن المصالح الفرنسية. فتقدم **يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس** إلى إدارة المطبوعات فى ١٨ إبريل سنة ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة «**المقطم**»[٢]. كما تقدم.

ومضت صحيفة «**المقطم**» منذ صدورها تؤيد الاحتلال البريطانى وتشيد بسياسته وتدافع عن صنائعه من المصريين، وتنتهز كل مناسبة للنيل من الباب العالى. وفى ذلك تقول جريدة «**الشعب**» وهى تؤرخ للمقطم «**إنه إنجليزى صرف وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه**، وهو يترجم ويطبع تقارير المعتمد»[٣]. وأعلن المستر «**بلنت**» فى أوربا «أن وزارتى الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة **المقطم** مبلغا من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فيها». ولعل فى ذلك ما يبين موقف هذه الصحيفة من الحركة الوطنية حين عادت إلى الانتعاش بعد سنوات من الاحتلال، وهو موقف يتضح من **هجومها على الوطنيين**؛ وعلى الخديو عباس الثانى الذى أيد الوطنيين فى بداية حكمه[٤].

(1) Young: Egypt PP. 150 - 151.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام. دراسات فى الفن الصحفى ص٢٢.

(٣) الشعب: فى ٨ مايو ١٩١٠ ـ الدكتور إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ص١٩٤.

(٤) الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص٢٢.

وتتسم هذه المرحلة (١٨٨٩ ـ ١٩١٤) بـ «**الصراع**» فى كل نواحى الحياة المصرية، وينعكس هذا الصراع بوضوح على مرآة الصحافة، على اعتبار بديهى وهو أن الصحافة مرآة عصرها وزمانها.

فالاحتلال البريطانى يجثم على قلب مصر: ويصدر صحيفة «**المقطم**» كما تقدم.

وكانت هذه الصحيفة لسانا إنجليزيا صرفا يقف فى وجه كل دعوة وطنية، وما أيسر عندها أن تصف الوطنيين بـ «الخونة» وعلى هذا المقياس يمكن رد جميع مواقف هذه الصحيفة من الحركات الوطنية فى هذه المرحلة، وطوال المدة التى صدرت فيها. فقد بدأت حياتها بمهاجمة العرابيين، وقد مزق موقفها من حادث دنشواى القناع الشفاف عن وجهها، فهى ترى أن فى هذا الحادث التاريخى «عارا ارتكبه رعاع من أسفل طبقة وتأباها نفس كل مصرى وهى ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحدا منهم»[1]، ولم تأل المقطم جهدا فى الرد على كل ما يكتب عن بريطانيا والدفاع عن مصالحها فى مصر.

والواقع أن الصلة التى تربط **المقطم** بسلطات الاحتلال، لم تكن خافية على أحد، ولذلك كانت الجهات الحكومية تؤثرها على غيرها من الصحف، وبلغ الأمر بهذه الصحيفة أنها كانت تنشر أحيانا بعض الأحكام فى القضايا الوطنية قبل النطق بها بعدة أيام.

والصحف التى عاصرت **المقطم** لم تتجاهل هذه الصلة بين المقطم وسلطات الاحتلال.

جريدة الوطن:

وشارك **المقطم** فى الدفاع عن الاحتلال جريدة «**الوطن**» التى استقبلت

(١) المقطم: عدد ١٩ يونيو ١٩٠٦.

الاحتلال بحماس شديد[1]، وحملت على قيادة الثورة العرابية فى شماتة يشوبها شىء غير قليل من التعصب الدينى[2].

وقد وصفتها جريدة «الشعب» الوطنية كذلك، بأنها «سياسية احتلالية أكثر من المقطم، حتى أن محررها كان يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات الإنجليزية ورفع الراية عليها ـ ولا يخلو عدد من أعدادها من الطعن فى الوطنيين والمسلمين وإيلام عواطفهم، وهو أول من أحدث الشقاق بين المسلمين والأقباط[3].

وكما رحبت بالاحتلال البريطانى وهزيمة العرابيين، هللت للحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤، وهى تحمد الله «لأننا خلصنا من تهوسات الفتية الذين كانوا يطلقون على أنفسهم اسم «الحزب الوطنى» والوطن برىء منهم، أولئك الذين كانوا يدعون فى الظاهر بأنهم يريدون استقلال مصر عن كل سيادة. وفى الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمة باردة. وإذا كان المصريون قد جنوا كل هذه الثمرات الطيبة والإنجليز محتلون احتلالا مهددا بالانقضاء فكم ينتظرون من آيات السعادة والإنجليز باقون هنا إلى الأبد»[3].

صحف التيار الوطنى:

وفى مقاومة تيار الصحف الممالئة للاحتلال الأجنبى ممثلاً فى (المقطم) اتجه الوطنيون، إلى إصدار الصحف المقاومة؛ وقد صادف هذا الاتجاه ترحيبا من الخديو عباس حلمى الذى اتجه إلى كسب تأييد الرأى العام، والوقوف فى وجه المعتمد البريطانى، والرد على مفتريات الصحف الأجنبية.

وصدرت فى هذه الفترة صحف كثيرة منها:

(١) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

(٢) راجع: د. أحمد حسين الصاوى: معالم تاريخ الصحافة المصرية ـ محاضرات بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣.

(٣) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

* صحيفة المؤيد: للسيد على يوسف سنة ١٨٨٩.
* صحيفة الأستاذ: للسيد عبدالله النديم سنة ١٨٩٢.
* صحيفة المنار: للسيد رشيد رضا سنة ١٨٩٨.
* صحيفة اللواء: لمصطفى كامل سنة ١٩٠٠.
* صحيفة (الجريدة): لمحررها أحمد لطفى السيد سنة ١٩٠٧.
* صحيفة العلم: وهى لسان الحزب الوطنى سنة ١٩١٠.
* صحيفة الشعب: وهى لسان الحزب الوطنى كذلك سنة ١٩١٣.

صحيفة المؤيد:

وصاحب هذه الصحيفة كما تقدم هو السيد **على يوسف**، كان شابا أزهرى النشأة، ثم بدا له أن ينتقل من الأزهر إلى الحياة العامة. وإذ ذاك اختار لنفسه مهنة الصحافة.

وما لبث الوطنيون إثر صدور **المقطم** أن أحسوا بأن ثمة فراغا فى الحقل الصحفى يجب أن يُملأ، حتى يمكن مواجهة هذا الاستعمار الصحفى للبلاد وقد عبر بوضوح عن مطامع الاحتلال البريطانى، ولذلك اتفقوا على إصدار صحيفة تكون لسانا لهم، ومن ثم ظهرت صحيفة **«المؤيد»** اليومية فى نهاية عام ١٨٨٩.

ويمكن القول إن **طرفى الصراع** فى هذه الفترة هما **الاحتلال البريطانى** بصحفه من جهة، ومن جهة أخرى: **الكفاح الوطنى** للشعب المصرى، الذى ما لبث أن تمخض عن **روافد ثلاثة**، تشكل أطراف الحركة الوطنية التى نهضت فى مواجهة الاحتلال البريطانى والنفوذ الأجنبى.

وكانت صحيفة «المؤيد» ممثلة **للرافد الأول** من هذه الروافد الوطنية الثلاثة، وما لبثت معالم هذا التيار أن تحدّدت واتسمت بسمات مميزة له عن غيره.

علي يوسف وجريدة المؤيد:

يقول أستاذنا د. عبد اللطيف حمزة:[1].

فى الثامن من شهر ربيع الأول عام ١٣٠٧ للهجرة، الموافق لأول ديسمبر عام ١٨٨٩ للميلاد أصدر الشيخ **على يوسف** جريدته، **«المؤيد»**. من أولى الجرائد اليومية فى الديار المصرية. وهى وإن سبقها إلى الظهور ـ فيما نعلم ـ جريدتان يوميتان، هما جريدة **(الأهرام)** التى صدرت عام ١٨٧٥ ودامت إلى عهد الثورة العرابية، و**(جريدة الطائف)** لصاحبها السيد **عبد الله النديم**، لسان حال الثورة، فمن المحقق أن **المؤيد** هو أدوم الجرائد اليومية فى مصر فى القرن الماضى، وأطولها عمراً، وأجلها خطراً، وأعظمها أثرا، وأرفعها منزلة.

والحق أن صدور جريدة يومية لها هذا الخطر يعتبر حادثاً هاماً فى تاريخ مصر الحديثة يستحق فى الواقع كل التفات واهتمام، وخاصة إذا كان قد أقدم على مثل هذا العمل الخطير شاب أزهرى فقير كعلى يوسف، كان لا يملك من الوسائل المادية أو المعنوية ما يؤهله لتحمل هذه التبعة التى تثقل كواهل العصبة أولى القوة. وقد مر بنا بعض الصعاب التى اعترضته فى طريقه، ولكنه تغلب عليها بواحدة فقط من صفاته؛ هى **قوة العزيمة**.

ونحن حين نستحضر فى أذهاننا صورة رجل نشيط كان يوماً ما مديراً لسياسة جريدة كبيرة كجريدة **المؤيد**، وحين نستحضر فى أذهاننا طوائف الرجال العظماء الذين كانوا يختلفون إلى إدارة هذه الجريدة يوماً بعد آخر، وحين نستحضر فى أذهاننا كذلك صورة لشتى الأحاديث القيمة التى كانت تدور فى إدارة الجريدة، وفى حضرة مديرها ـ نقول: حين نستحضر فى أذهاننا كل ذلك نعرف أى رجل ذلك الذى كان يلتقى فى مكتبه بكل هذه العقول على اختلافها، وتنصبُّ فى جريدته كل هذه الأفكار على تباينها. ثم جاءت جريدته صدى لجميع هذه الأفكار والآراء، وكان على مدير سياستها إذ ذاك عمل هام؛ هو إحداث

(١) أدت المقالة الصحفية جـ٤ ص ٧٩ ـ ٩٠.

الإنسجام التام بين جميع هذه المواد، ثم تقديمها إلى جمهور القراء شرابا سائغا، وطعاما شهيا، بل معرضا جميلا لآثار العقل المصرى تارة، والعقل الشرقى تارة، والعقل الأوربى تارة، والعقل الأمريكى فى بعض الأحيان.

ولقد عبر الخديو عباس فى مذكراته عن ذلك فقال:

«كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة. وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع، وبلاغته التى لا تغيض، وعاطفته التى كان يطامن من غلوائها - لحسن الحظ - فلسفة إنسانية فائقة قد غدا أستاذاً بفضل اتصاله اليومى بالشخصيات البارزة فى كل علم وفن. وكان يتحدث إلى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم، لأنها تمس مستقبل البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه»(١).

وفى الحديث عن الظروف التى نشأ فيها «المؤيد» يجمل بنا أن نلفت النظر أولا إلى أن الاحتلال البريطانى فى مصر استطاع بنفوذه وجبروته أن ينشىء له جريدة مصرية عربية تتحدث بلسانهي، وتعبر عن آرائه واتجاهاته؛ وهى جريدة المقطم التى تم إنشاؤها عام ١٨٨٨. إذ ذاك عزّ على الوطنيين فى مصر أن يكون للإحتلال البريطانى فيها جريدة، ولا تكون لهم فى بلادهم مثل هذه الجريدة، وانتظر الناس يومئذ فى شوق وتلهف أن تصدر جريدة وطنية تناهض جريدة المقطم وتقف لها بالمرصاد. وحين أبدى الشيخ على يوسف رغبته فى إصدار جريدة «المؤيد» وجد معونة صادقة له من جانب الوطنيين جميعا. وفهم الشيخ على يوسف منذ أول الأمر ما على «المؤيد» من واجب نحو هذا الوطن المحتل، وأدرك هذا المعنى إدراكا حسناً وقام على تنفيذه كذلك بضمير يقظ.

وهكذا ظهرت جريدة «المؤيد» فى الوقت الصحيح، واختار لها القدر الرجل الصحيح، واتخذت لنفسها إذ ذاك المنهج الصحيح. وهذه كلها خطوات وفق

---

(١) راجع جريدة المصرى بتاريخ الأحد ١٣ مايو سنة ١٩٥١.
د. عبد اللطيف حمزة: المرجع نفسه ص ٢٥.

فيها صاحب «المؤيد» توفيقا عاد بالخير والبركة عليه، كما عاد بالخير والبركة على أمته.

وافتتح الشيخ علي يوسف أول عدد من أعداد جريدة المؤيد بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتح المقال بحمد من نسأله التأييد فى القول والعمل، وأستهل ببراعة الشكر لمن فى قوته أن يعصمنا فى كل الأحوال من الخطأ والزلل. فله الحمد سبحانه خط قلمه فى اللوح ما الكل عليه الآن، وما يكون وما كان، ونثنى بميمون الصلوات على خير خلقه المبعوث إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، مؤيداً بالحق المبين، ذى القوة المتين، مدبر هذا العالم، ومبدع نظام الأمم فى توجيه إرادة العمل إلى إظهار جريدة سياسية يومية تلزم منهج الحق أمام الخلق، وتنادى على منبر الأمة بصوت الذمة، تناجي القراء بلسان عربى مبين خدمة لأبناء الوطن وقياماً بواجبات بلاد نحن صور هيولاها، وكنه حقيقة معناها.

أقول لك الأوطان وهى عبارة يفسرها ما قد حوته من الناس. وما لنا الا نقوم بشعائر تطالبنا بها الاحساسات الطبيعية، والحاجات الوطنية، ودواعى الحياة المدنية والأدبية، وكمال التحقق بحقيقة وحدة الجامعة الجنسية. فنسألك اللهم أن ترشدنا إلى الخير ما أردنا وأحسن ما تريد؛ وأن تؤيدنا بعنايتك الصمدانية. فانك الفعال لما تريد؛ وأن توفقنا فى تأدية حقوق الخدم، لتأمن زلة القدم وذلة الندم، ويامن إليك إنابة الضعفاء فى السراء والضراء أنت حسبنا ونعم الوكيل.

مقاصد المؤيد

علمنا الدهر بمطالعة الأخبار، ووعظنا بغرائب الآثار، ودربنا بالإنذار والاعتبار، وجلا عن قلوبنا ظلمات الجهل، فأبان لنا أن أعمال السلف مدرسة

الخلف، نتلقى فيها أن خدمة الأوطان من أوجب الواجبات، وألزم الفرائض. من أضاعها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدى والشقاء الدائم.

فما قصدنا من نشر المؤيد إلا تأدية ذلك الفرض عن طهارة طوية، وإخلاص نية. وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى، ولكل عامل وجهة يقصدها، عليها يكون الجزاء. وليس فى عمل العاملين، وجدّ المجدّين أبرّ، ولا أفضل من نصيحة مستنصح، وإرشاد مسترشد. وما دام الكل فى حاجة إلى التعاون والمشاركة فلا غنى لهم عن تبادل الأفكار، ومعرفة الأخبار، مما يدعو إليه صلاح شأنهم. وقوام معيشتهم.

والناس رجلان: حاكم ومحكوم، وبينهما مطالب متبادلة، وحقوق متكافئة. إن سكت عنها صريح المقال أبان عنها لسان الحال. ووظيفة الجرائد الصادقة فى البلاد شرح مطالب الفريقين، وترجمة أفكار الهيأتين.

والمؤيد جريدة وطنية يقصد أن تكون على هذا المبدأ سفير الخير، وبريد المطالب. وكما أنه سيشرح إحساسات الهيئة المحكومة مجتهداً فى إظهار ما بزواياها من خفايا الحاجات بين يدى الهيئة الحاكمة، وإن كانت هى أوسع علماً، وأصدق خبراً وأطول باعا، وأدرى بطلائع الأوقات، وأعرف بمواقع الحاجات. فكذلك يبين للأمة ما يحسن فيه الطلب، وينال به الأرب، ويسمع به النداء ويقبل عنده الدعاء، ويكون به استجلاب المنافع، وفيه رفع المضار، غير ناكث عهدا، ولا خافر ذمة. وكيف ونحن بعض من نطالب بحاجاتهم، ونعمل للحصول على مرضاتهم. ومهما جدّ سوانا فى خدمتنا واجتهد، أو هجرت عينه الغمض فلا تقوم النافلة مقام الفرض، وليس من المروءة ألا نشارك من جاد علينا بخدمة الوطن، وندع نواظرنا لفتور الوسن.

فلا يسعنا إلا أن نقوم بهذا الواجب معترفين لمن سبقنا بما له من فضل السبق، وأحقية الشكر على ما أداه من الخدمة الجزيلة فى هذه البلاد.

فإليكم يا بنى مصر جريدة نشأت فى مهد الإخلاص حميدة المبدأ والغاية.

تناجيكيم ولا تُسرّ النجوى لسواكم. وقد أخذت على عهدتها بث الأفكار المفيدة، والأخبار الصادقة، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية، من الإعتبار والتحذير، أو الترويج والتبشير، لأن الميل إلى اقتطاف الأخبار، والرغبة فى استطلاع ما يكون من الأفكار من ودائع الفطرة البشرية، غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية. بل من واجباتها البحث فى حقيقة الأسعار، ومبادلة التجار، والأخذ والعطاء، وحركات الأسواق، وهبوطها وصعودها، والنظر فى أسباب الارتفاع والانحطاط . ومن واجباتها نشر كل ما يهم الوطن معرفته من الحوادث معتمدين فى ذلك على البرهان القوى، والسند الثبت، والعقل والنقل، وحكم الظروف واختلاف المقال، ورعاية المصلحة الوطنية، والخدمة الحقيقة، بعد التروى الصادق، والبحث المدقّق، وإرسال النظر خلف كل سانحة. ونسأل الله العالى الأعلى أن يكشف عن بصائرنا حجاب الإلباس فى الأشياء، حتى نرى الحقائق كما هى، كيلا نضل ونشقى. والسلام على من اتبع الهدى.

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

ومضى الشيخ يكتب فى جريدته ويفسح المجال معه لكبار المصريين والشرقيين فى وقت معا، وما لبثت **المؤيد** أن أصبحت فى وقت قصير سجلا لتاريخ مصر السياسى، وتاريخها الإدارى، وتاريخها العلمى، وتاريخها الاقتصادى.

ولكن عز على أعدائها يومئذ أن يروها تنمو وتزدهر، وتنير السبيل لكل من يريد العمل فى سبيل هذا الوطن، فوضعوا فى طريقها العقبات؛ وحاكوا لها المؤامرات أملا فى القضاء عليها قبل أن تستأثر بحب الأمة، وتصبح جزءا من كيانها، وعنصراً من عناصر وجودها، وعاملاً فى نهوضها من كبوة الاحتلال البريطانى.

ومن الصعاب التى واجهت الشيخ على يوسف فى مستهل حياته الصحفية،

وهى الصعوبة التى نجمت عن اختلافه مع شريكه أحمد ماضى ونريد أن نمضى معه فى ذكر الصعوبات التى تغلبت عليها إرادة الشيخ وهزمتها، وأفسحت الطريق لجريدته فلبثت تعمل فى الميدان الوطنى قرابة ربع قرن.

فالثانية: من تلك الصعاب، أنه اتصل بمسامع الخديو **توفيق** بعد صدور الجريدة أن «**المؤيد**» لسان حزب وطنى يعمل سراً على عزله عن العرش، كما عزل **إسماعيل** من قبل، فأوجس الأمير خيفة من هذه الصحيفة، وفكر فى قتلها وهى فى مهدها. ولكن المنية عاجلته، فمات فى العام الثالث فقط من حياة هذه الصحيفة.

والثالثة: من تلك الصعاب التى واجهت صاحب «**المؤيد**» أن الحكومة المصرية أصدرت أمراً منعت فيه جميع الدواوين الحكومية أن تمد **المؤيد** بمعلومات رسمية مهما كان نوعها. وكانت الحكومة المصرية مدفوعة إلى ذلك بوحى من الوكالة البريطانية التى نظرت إلى **جريدة المؤيد** - بعد اجتيازه مرحلة الطفولة - على أنها جريدة وطنية مناهضة للسياسة البريطانية. فأرادت الوكالة يومئذ أن تفقد **المؤيد** قيمتها كصحيفة إخبارية، ليكون ذلك سبباً فى زوالها إلى الأبد.

والرابعة: من هذه المصاعب التى نشير إليها نظر الأجانب فى مصر والنزلاء والقناصل بها إلى هذه الجريدة على أنها نذير السوء، وعلى أنها كارثة حلت بالاحتلال الأجنبى فى مصر. وإذ ذاك لم يجد الأجانب ما يدخلون به على هذه الجريدة غير باب واحد؛ وهو باب التعصب الدينى الذى رموها به رمياً بغير تبصر أو تعقل. وانبرت جريدة **المؤيد** تدافع عن نفسها، وعن المصريين معها ضد هذه التهم الخطيرة، حتى أصبحت بعد قليل من الزمن لسان الشعب المصرى.

والخامسة: من الصعاب: «**قلم المطبوعات**». وكان سيفا مصلتا على رقاب الصحف عامة، وصحيفة المويد خاصة. وكان يرأس هذا القلم إذا ذاك بعض

الأجانب. فكان هذا الأجنبى يقعد للمؤيد كل مرصد، ويقسو عليها كل قسوة، ويناقشها الحساب لأتفه الأسباب.

وكان صاحب المؤيد قد عارض معارضة قوية فى إصدار قانون المطبوعات الجديد.

والسادسة: من تلك المصاعب خوف الباب العالى شر هذه الجريدة. وقد كان السلطان - يخاف كل شىء، بل يخاف على حد تعبير المتنبى غير شىء. ومنذ أن علم بأمر هذه الجريدة الوطنية الجديدة فكر فى إعادة التجربة التى جربت أيام سعيد، حين بعث السلطان يومئذ إلى القاهرة برجل يقال له (اسكندر افندى شهلوب) ليقوم فيها بنشر جريدة (**السلطنة**). وقد بعث السلطان فى هذه المرة (بحسن باشا حسنى) من الآستانة إلى القاهرة ليتولى فيها إصدار جريدة (**النيل**) لا لشىء إلا لمحاربة المؤيد وصاحبه فى ذلك الحين. ولكن مصير **جريدة النيل** لم يكن خيراً من مصير **جريدة السلطنة**. فقد سقطت الجريدة الأخيرة كما سقطت سابقتها فى مجال الصحافة. وهكذا حبط عمل السلطان، وبقيت «**المؤيد**» وحدها تملأ الميدان؛ والشعب المصرى من ورائها يؤيدها بكل قوته.

والسابعة: من هذه الصعاب: **قضية التلغراف** وغيرها من القضايا التى شغلت بال الرأى العام، وهى القضايا التى كان يقف فيها الشعب المصرى فى جانب، وتقف السلطات الانجليزية نفسها فى جانب آخر، وكان الظفر فيها غالبا للشعب المصرى على الغاصب الأجنبى. وكانت «**المؤيد**» مسرحا لقصة هذا الجهاد الطويل الذى كان على المصريين أن يبذلوه فى سبيل التخلص من عار الاحتلال البريطانى.

يقول د. عبداللطيف حمزة:

«الحق - لقد كانت كل واحدة من هذه الصعاب خليقة بأن ترد الشيخ عن عزيمته، أو تهىَ من قوته، أو تعود بالأذى الحقيقى بل التعطيل الأبدى لجريدته. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن. وبقيت «المؤيد» - كما قلنا - مؤيدة من

الله ومن الشعب المصرى الذى آثرها بحبه، وحاطها برعايته. بل بقيت المؤيد معرضاً لأقلام الكثيرين من صفوة المصريين، ومدرسة عالية يتعلمون فيها دروساً فى السياسة والكتابة. ومن هذه الصفوة - على سبيل المثال - **قاسم أمين، وسعد زغلول، وعبد السلام ذهنى، وتوفيق البكرى، وأحمد تيمور، وإبراهيم الهلباوى، والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى**، وذلك الشاب الذى كان بعد طالباً فى مدرسة الحقوق؛ وهو **مصطفى كامل** وغيرهم. كما كان يكتب فيها من غير المصريين الأستاذ **كرد على، والمستشرق ا. ميجو والشيخ عبد القادر المغربى** والاخير من أصدقاء الشيخ **محمد عبده** وتلاميذه منذ كان الإمام فى بلاد الشام مدة من الزمان.

ولا ننسى كذلك أنه كان من محررى المؤيد كاتب اشتهر عن طريق هذه الجريدة شهرة كبيرة؛ وهو الشيخ **عبد الحميد الزهراوى** وكثيرون غيره من كتاب الشام والمغرب وسائر الأقطار الشرقية الإسلامية.

وأخذت **(المؤيد)** تنمو وتزداد، حتى أصابت من ذلك حظاً لم يحلم به صاحبها. فقد بلغ مجموع النسخ التى طبعت من المؤيد فى السنة الأولى ثمنمائة، وفى الثانية مائتين وألفاً. وفى الثالثة ألفين. وبقيت على ذلك فى السنتين الرابعة والخامسة. ثم فى السادسة بلغت ألفين وثمانمائة. وفى السنة السابعة أربعة آلاف. واستمرت على ذلك حتى شهر أغسطس سنة ١٨٩٦م. ثم **ما كادت تظهر القضية التى سنشير إليها - وهى قضية التلغرافات - حتى كان متوسط ما يطبع من المؤيد يومياً ستة آلاف نسخة. أما ما كان يطبع فى أيام المرافعات فكان يتراوح بين عشرة آلاف نسخة وإثنى عشر ألف نسخة، وهو ما لم تصل إليه جريدة ما فى مصر والبلدان العربية إلى ذلك الوقت**[1].

أخذت «المؤيد» على عاتقها منذ بداية الأمر أن تعالج على صفحاتها وبأقلام أولئك الكتاب موضوعات شتى:

(١) راجع فى ذلك: إلياس زاخورة فى كتابه (مرآة العصر) السابق الذكر.
د. عبد اللطيف حمزة: السابق، ٢٥

منها: **الموضوعات الوطنية**، كموضوع الأمة والحكومة، وموضوع السخرة، وموضوع الاحتلال العام، وموضوع الأمانى القومية وغير ذلك. ومنها **الموضوعات الأدبية** كموضوعات الترف، والعدل، وقيمة الوقت، والتمدن، وأسباب التقدم، والاصلاح الخلقى، ومنها **الموضوعات الادارية** كهيئة الحكومة المصرية، وكالتقارير والقوانين والمشروعات والتعديلات التى تصدرها الحكومة ومنها: **الموضوعات القضائية** وما يتصل بالمحاكم المصرية على اختلافها والأحكام التى تصدر عنها، والاقتراحات التى تريد أن تدخلها على القانون لتعديله، مع الاشارة إلى بعض القضايا الشهيرة الخ.

ومنها **الموضوعات العلمية والتعليمية** كموضوع التربية والتعليم فى مصر، وكالتقارير التى يكتبها رجال التعليم من مثل **عبد الله (باشا) فكرى** وغيره. مع العناية بأخبار المؤتمرات الهامة، كمؤتمر برلين الطبى ونحو ذلك.

ولقد كانت المؤيد تعنى عناية كبيرة بأخبار الدولة العلية وبانجلترا، **فكتبت فى موضوع الجلاء** وكانت تهتم اهتماماً خاصاً بتقارير المعتمد البريطانى.

وكانت **المؤيد** تقصر بعض جهودها **على السودان**، **فكتبت فى العلاقة بينه وبين مصر**، وأخذت تنادى باسترجاع هذا القطر، وتكتب عن رحلات ستانلى فى السودان.

على أن جريدة المؤيد لم تكن تغفل إلى جانب ذلك كله أمر القارة الأفريقية: فكتبت عن الحبشة مع إيطاليا، وعن الروسيا وإيطاليا فى الحبشة، وعن المستعمرات الأوروبية فى داخل القارة الأفريقية، وعن زنجبار ومراكش.

أما المقالات السياسية الخالصة فكانت تحتل مكانها الممتاز فى صحيفة المؤيد. إلي جانب السياسة المصرية الانجليزية، وفى مجال **السياسة الدولية تكتب (المؤيد)** عن **(الدول والسلام)** وأخرى وعن **(منظر أوروبا السياسى)** وعن **(انكلترا ومستعمراتها)** ورابعة وعن **(الدول العظيمة فى الشرق)** وعن **(إمكان**

نزع السلاح)، عن (سمارك)، وعن (السياسة الاستعمارية فى أوربا) بوجه عام وهكذا.

وأخيراً لم تخل **صحيفة المؤيد** من باب هام، هو باب **(التراجم)** وفيه قدّمت الصحيفة للقراء صوراً عن عظماء الرجال فى مصر وبلاد أوروبا. وممن ترجمت لهم هذه الصحيفة فى عامها الأول من رجالات مصر: **عبد الله (باشا) فكرى، وشفيق (بك) منصور، ومحمد بيرم التونسى**(١).

وعلى هذا النحو سارت **(المؤيد)** اليومية سبع عشرة سنة كاملة. حتى إذا كان عام ١٩٠٦ وجدنا هذه الصحيفة الوطنية الشهيرة - وقد توطد مركزها فى مصر، وبلغت من الشهرة حداً لم تصبه جريدة وطنية من قبل - تظهر فى ثوب جديد، وتبدأ طوراً جديداً. ويتحدث صاحبها عنها فيقول:

المؤيد فى طوره الجديد:

ظهر المؤيد اليوم لحضرات قرائه فى طور جديد إذ يرونه فى حجم أكبر، وشكل أظهر، ومادة أغزر.

ولما كان الشىء بالشىء يذكر فقد عن لنا أن نرجع بالقارىء إلى ذكرى أطوار المؤيد من يوم نشأ إلى هذا اليوم الذى يخطو فيه للأمام خطوة جديدة.

قبل سبعة عشر عاما هجرية وبضعة أشهر، وفى أواخر سنة ١٨٨٩ أفرنجية كان صاحب الجريدة يصدر صحيفة أدبية أسبوعية باسم **(الآداب)**. وكان كثيرونن من القراء يعجبون بها، ويلتذون من قراءتها. فكانت همته منصرفة يومئذ إلى تحسينها وجعلها أفيد مما هى عليه. ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية:

فقد سنحت لى فرصة بعد ذلك قُدمت فيها إلى دولة الوزير الجليل **رياض (باشا)** وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد المغفور له الخديوى السابق توفيق (باشا) فأشار علىّ بعض المقربين من دولته أن أسترخص منه إصدار

(١) راجع منتخبات المؤيد السنة الأولى سنة ١٨٩٠ المجلد الأول. د. عبداللطيف حمزة: السابق ص ٧٥.

جريدة سياسية يومية. ولكنى ترددت كثيراً فى ذلك لعلمى أن جريدة يومية سياسية. تصدر من مصرى مسلم بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القوية التى كانت قابضة إذ ذاك على أميال القراء اختياراً أو اضطراراً، جريدة لا تتأثر بدسائس الدساسين ووشايات الواشين من الأوروبيين وغير الأوروبيين ـ تحتاج إلى رأس مال أكثر من مالى، وإلى حول أكبر من حولى، وإلى معارف جمة، ووسائل عدة، أنا خلو من كثير منها(١).

ولكن وجد دافع قوى لى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير أو إشارته. فتقدمت إلى نظارة الداخلية مسترخصا بهذه الجريدة. وفى اليوم الذى التمست فيه الرخصة نلتها، وظهر العدد الأول من المؤيد فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩) فى حجم أربع صحف قليلة المواد، كما يرى القراء نسخته المنقولة برمتها فى الصحيفة الرابعة من عدد اليوم. وحسبهم فارقا بين ما نشأ عليه وما صار إليه أن يروا العدد الأول كما هو فى صفحة واحدة من صحفه الثمان.

سار المؤيد فى طوره الأول الجديد كالوليد يأخذ كل يوم من الوجود حصته، ومن مكانه بقدر حركته. وبينما هو يحبو حبو الطفل فى مهده إذ عصفت به ريح خبيثة من مكائد مناظريه الذين كانوا يخشون أن تعيش جريدة مصرية لمسلم، فيستحوذ على أميال المصريين وعواطفهم. وقانون التنازع فى هذه الحياة يجعل النصال أشد فى زحزحة الغير عن مكانه من هذا الوجود، سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

جاءت هذه الريح من حيث تعصف الرياح بكل عمل يحتاج إلى التآزر فى أمة لم يفهم فيها تماما معنى التضامن فى الأعمال من حيث هو، ولم تنم فى نفوس أفرادها ملكة حب الارتفاق كما ينبغى. ودب دبيب الخلف بين مدير المؤيد (وكان المرحوم الشيخ أحمد ماضى) وبين صاحب امتيازه كاتب هذه

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٥.

السطور، بسبب ما دس أولئك الدساسون. وليس من حق هذا القلم الآن أن يزيد فى التفصيل إكراما لرفات صديق فى عالم آخر غير هذا العالم. ولكن نتج عن هذا الخلف احتجاب المؤيد عن قرائه وقتئذ من ٣٠ سبتمبر إلى ٢ نوفمبر من سنة ١٨٩١. وكانت اليد الحاسمة لهذا الخلف هى يد ذلك الغيور المفضال **سعد (بك) زغلول** (وكان وقتئذ محامياً) إذ اختاره الشريك المرحوم حكما للفصل فى مواضع النزاع. فانتهى حكمه بترك **المؤيد** لصاحب امتيازه بعد ما أرضى محكّمه بمال من عنده ومن آخرين من فضلاء الشبيبة المصرية. ويومئذ خاطبنى **سعد (بك) زغلول** قائلا:

لقد صار لك **المؤيد** بلا منازع، فإن كنت كفؤاً لعملك فاجعل من همتك وثباتك فيه رأس مالك، وبرهن على ثقة إخوانك بك.

وكانت هذه الكلمات أشد تأثيراً على نفسى من كل مشجع ومرغّب فى عمل.

ظهر **المؤيد** بعد ذلك الاحتجاب، وكنت خالياً من رأس مال له سوى القلم والصبر والاحتمال. وكانت رئاسة النظار يومئذ فى يد عطو فتلو **مصطفى فهى** (باشا). والدسائس ضد **المؤيد** أقوى منها قبل. وقد هال أعداءه ظهوره ثانيا، فوشوا إلى الحكومة أن هناك جمعية سرية ذات مقاصد خفية أخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد، والكتابة فيه ضد الحكومة والاحتلال، وكادت ريح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى شرحناه للمؤيد وصاحبه، لولا أن مقرباً من الوكالة الانكليزية، ومن عطوفة رئيس النظار **(ونعنى به المرحوم محمد بك بيرم)** تولى يومئذ تحقيق تلك الوشايات بنفسه، فظهرت له الحقيقة التى شرحناها. وانتهى الأمر بمقابلة حضرة **سعد (بك) زغلول** لعطوفة رئيس النظار ليدحض بالبراهين القاطعة تلك الدسائس البالغة، وقد كان ذلك، ووثق الرئيس بالحقيقة التى شرحها كل الثقة، وأعجب بفضله وشمائله، وشكره على خالص غيرته.

ومن ذلك اليوم استمرت صلة حضرة البك بعطوفة الباشا إلى أن صارت على أكمل وجوهها، كما يعرف القراء.

وجد للمؤيد من ذلك الحين أنصار، كما وجد له حساد وأعداء. وكلما ازداد هؤلاء كثر أولئك. وأنا بين هذه الجواذب والدوافع أعمل جهدى لكى يثبت المؤيد ويعيش، فلا يكون العار على المصرى أن يسجل عليه الغش كلما شرع فى عمل. ثم وجد بعد ذلك اضطهاداً من الحكومة، ظهر بأقبح مظاهره، حتى وصل إلى حد إقفال أبواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتابه ومخبريه. ولم ينته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولة رياض (باشا) فى يناير سنة ١٨٩٣ ويومئذ ألغى عمل (قلم المطبوعات) الذى أنشىء لمضايقة المؤيد ليس إلا، يوم كانت وظيفة البارون دى مالورتى مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه فى كل ديوان؛ يحاكم هذا ويطرد ذاك من المستخدمين الذين كانوا يتهمون بإعطائنا الأخبار. فلما تولى الوزارة دولة رياض (باشا) منحه إجازة لم يعد بعدها إلى العمل، وخلص المؤيد من عوامل الاضطهاد الشديدة التى كادت تقضى عليه، واستمر فى طريقه ينمو حتى كانت فى سنة ١٨٩٦ قضية التلغرافات المشهورة التى لم تنته حتى بلغ المؤيد بفضل إقبال الأمة عليه أضعاف ما كان عليه قوة وانتشاراً. ولا يزال بفضل الله عز وجل وبمؤزارة الفضلاء من الكتاب، وبإقبال القراء عليه فى المزيد إلى أن بلغ هذا الطور الجديد.

فالقراء يعلمون من مجمل هذا التاريخ أن اليد الأولى فى ظروف إصدار جريدة المؤيد كانت لدولة الوزير الجليل رياض (باشا). وأن اليد الثانية فى خلاصة من الورطة التى سقط فيها سنة ١٨٩١ كانت لحضرة المفضال سعد (بك) زغلول، والذين اشتركوا فى تلك المبرة معه. وأن اليد الثالثة التى تجلى بها فى مظهرها الفخيم سنة ١٨٩٦ كانت للأمة. وهو لا يزال فى ظلها الظليل.

أما صاحب هذه الجريدة فلا يعتبر نفسه إلا عاملا بسيطا لظهور الجريدة كبقية

العمال الذين يشتغلون لصدورها من محرر وصاف حروف وطابع. وكفاه فخراً أن بقية العمال يتغيرون، وهو عامل مستمر إلى ما شاء الله أن يكون كذلك.

وتبع هذا النمو فى الانتشار والترقى على الاستمرار اختلاف الآلات التى يطبع بها **المؤيد**. فيوم كان عدد مشتركيه لا يتجاوزون ستمائة نسخة، وعدد ما يباع منه لا يتجاوز الستين فى القاهرة كانت الآلة التى يطبع بها صغيرة تدار باليد الواحدة، وتطبع بالكبس، ولا يزيد ما يطبع فى الساعة على مائة نسخة. وكأن هذا شأنه فى السنتين الأولين. ثم ازداد عدد ما يطبع منه رويداً رويداً حتى كان فى آخر سنته الرابعة ألفا وأربعمائة نسخة، فاضطررنا إلى شراء آلة من معمل (ألوزيه) وهى التى تدار باليدين معا، وتطبع بكابس اسطوانى إلى ستمائة نسخة فى الساعة الواحدة. وكان هذا من ١٦ يناير سنة ١٨٩٤ حيث ظهر المؤيد فى أربع صحائف كما كان، ولكن فى كل صحيفة ستة أعمدة.

ثم تضاعف الانتشار حتى بلغ عدد ما يطبع منه خمسة آلاف، وكثرت المواد والاعلانات عليه حتى اضطررنا إلى جلب مطبعة ألمانية كبرى تطبع بكابسين اسطوانيين، وتدار بالبخار. فظهر المؤيد فى ثمان صحائف من ١٦ يوليو سنة ١٨٩٩.

وقد ذكرنا فى ذلك العدد ما يأتى بحروفه:

أصدرنا الجريدة منذ اليوم فى ثمان صفحات طبقا لرغبات جمهور القراء. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا دائما لخدمة الأمة، ويمدنا بمعونته لنزيد فى مواد وصفحات الجريدة كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ونحن اليوم نشكر الله عز وجل على أن تضاعف انتشار الجريدة، وأن وفقنا بطبعها على آلة طبع من أحسن طراز أخير من اختراع الخواجة (ماريتونى) الفرنساوى المشهور باختراعاته المطبعية. ولما كانت هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها من مصر، وجلبت إليها، وئيدا عملها منذ اليوم، فقد دعونا

الكثيرين من حضرات العلماء والذوات والأعيان لتشريف إدارة الجريدة وقت الشروع فى الطبع. وهذا نص الدعوة التى وزعناها لذلك:

«بمشيئة الله تعالى سنبتدىء من يوم الثلاثاء ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فى طبع جريدتنا المؤيد على نمط جديد، وفى حيجم أكبر بواسطة آلة الطبع الكهربائية (روتاتيف) التى تطبع بواسطة صناعة جديدة غير الحروف المعتادة، وتنجز فى الساعة الواحدة طبع اثنى عشر ألف نسخة من الجريدة ذات الثمان صحف، مقطوعة، ملصوقة. مطوية، معدودة. فندعو.. .لتشرفوا إدارة الجريدة فى الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم المذكور لتشاهدوا إدارة هذه الآلة البديعة لأول مرة فى مصر، ولكم جزيل الشكر، تحريراً فى ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤.

على يوسف

منذ ذلك الوقت اتخذت «المؤيد» شكلا جديداً، وأخذت تظهر للقراء (جريدة يومية سياسية تجارية) فى ثمان صفحات. وكان مقر مطبعتها بشارع محمد على بالقاهرة، وكانت تحتوى دائما على عشر مواد، وربما زادت أحياناً إلى اثنتى عشرة. وكانت خمس - على الأقل - من هذه المواد تتجدد بتجدد الأفكار التى تهم صاحب الجريدة، وأما الباقى من هذه المواد فمرتبة فى أبواب تعتادها الجريدة كل يوم.

خذ لذلك مثلا - العدد رقم ٥٠٠٤ وقد صدر بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فانه يبتدىء هكذا:

فهرس:

رأى جريدة الغازيت فى كفاءة المصريين.

ما هى الحكومة النيابية؟

أطوار المسألة الشرقية.

استئناف النيابة.

التمثيل العربى.

أخبار بريد أوروبا.

مكاتبات.

الحوادث.

التلغرافات.

إعلانات قضائية وتجارية.

فالمواد الخمس الأولى مواد متجددة. والمواد الخمس الأخيرة يجدها القارىء عادة فى كل عدد، وربما أضيفت إليها مادة بعنوان (الإسكندرية) يؤتى فيها بأخبار هذه المدينة وأحوالها وأحيانا تضاف إليها كذلك مادة أخرى بعنوان (انتقاد) تشمل عرضاً سريعاً لبعض المؤلفات الحديثة والترجمات والمجلات، وتشمل نقدا لها.

والقارىء إذ يلقى نظرة عجلى إلى الأعداد اليومية التى صدرت فى أثناء هذه السنة - ونعنى بها سنة ١٩٠٦ - يستطيع أن يفرق بين موضوعات صحفية يطرقها الكاتب ثم لا يعود اليها مرة ثانية، وأخرى يطرقها الكاتب مرارا ويعالجها معالجة دقيقة قوية مفصلة.

ولا شك أن (المقالة الإفتتاحية) فى المؤيد كانت أهم مادة فيه. وكثيراً ما كان يكتبها السيد على يوسف بنفسه. وكثيراً ما يتركها لكاتب غيره، وربما كان هذا الكاتب أحد محررى المؤيد. وربما كان موضوع المقال فى هذه الحالة الأخيرة صفحة من تاريخ رجل عظيم كنابليون، أو اقتراحا هاما فى إصلاح الأزهر، أو التعليم بالمدارس الحديثة، أو كلمة مترجمة عن الفرنسية أو الإنجليزية لكاتب أجنبى له شهرة فى عالم الفكر أو السياسة، أو تقريراً صحفياً لبعض المصريين ممن زاروا لندن وغيرها من العواصم الأوروبية، واشتغلوا هناك بدرس المسألة

المصرية، وأحبوا أن ينقلوا للقراء صورة من فهم الأوروبيين في بلادهم لهذه المسألة[1].

منذ فكر السيد على يوسف فى إنشاء «المؤيد» وهو يصادف طائفة من المصاعب كانت كل واحدة منها كفيلة بإسقاطه لولا صفات خاصة فى الرجل - هى تلك الصفات التى أشاد بها الأستاذ «تشارلز آدمز». ومن تلك الصعوبات صعوبة آتته من «قلم المطبوعات»، وكان على رأسه إذ ذاك موظف إنجليزى، ومن ثم كانت للمؤيد قضايا مشهورة فى تاريخ الصحافة من أهمها[2]:

قضية التلغرافات[3].

فى شهر مايو سنة ١٨٩٦ أصدرت نظارة الحربية أمرا بعدم إعطاء المؤيد أية معلومات عن الحملة المصرية على دنقلة، فوقع السيد على يوسف فى حيرة شديدة: أيضرب صفحا عن أنباء هذه الحملة مع أن أنباءها تهم الشعب، وجنود الحملة هم أبناء هذا الشعب؟ أم يفعل هذا الرجل كل ما يستطيع حتى يصل إلى ما يريد؟

وفى ٢٦ من شهر يولية سنة ١٨٩٦ - والساعة الثانية بعد الظهر - أخذ موظفو مكتب تلغراف الأزبكية يتلقون إشارة برقية من السردار بالسودان إلى ناظر الحربية بالقاهرة انتهوا منها فى العاشرة والنصف مساء وفى التلغراف يعتذر السردار عن تأخيره فى الاتصال بالقاهرة بسبب الكوليرا التى تفشت فى الجيش، وكان لها إصابات كثيرة.

ثم فى يوم ٢٨ من يوليو فوجىء ناظر الحربية بنشر هذا التلغراف برمته فى صحيفة المؤيد، فهاج لذلك وهاجت معه السلطات الإنجليزية!

وتوالت على مكتب التلغراف بالأزبكية برقيات من هذا النوع ينشرها المؤيد كاملة فى اليوم التالى. إذ ذاك فكر اللورد كرومر فى حيلة يسوق بها السيد

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٩٥.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ٧٨.

(٣) نفس المرجع ص ٧٩.

على يوسف إلى المحاكمة، وذكر كرومر أن القانون العام يعاقب الموظف الذى يعمل على إفشاء أسرار الحكومة، وعلى هذا ففى وسع كرومر أن يقدم الموظف المسئول فى مكتب التلغراف بالأزبكية إلى المحاكمة بهذه التهمة، وفى وسعه كذلك أن يقدم معه السيد على يوسف بتهمة الاشتراك فى هذه الجريمة.

وسئل السيد على يوسف فى المحكمة عن المصدر الذى اعتمد عليه فى هذه البرقيات؟ فأجاب بأن سر المهنة يحول دون تصريحه بشىء من ذلك؛ لذلك عجزت النيابة عن أن تلفق له تهمة يعاقب عليها.

ثم فى يوم النطق بالحكم احتشدت الجماهير فى ساحة المحكمة حتى لم يكن فيها موضع لقدم واحدة، وتوافد الناس من الأقاليم ليشهدوا بأنفسهم ذلك اليوم، حتى لقد ضاقت بهم فنادق القاهرة.

ثم فى يوم ١٨ من شهر نوفمبر صدر الحكم ببراءة السيد على يوسف فهتفت له الجموع، وصفقت له وهللت، وأقبل بعضهم يهنىء بعضا بهذا الحكم، ثم انثالوا على صاحب المؤيد فحملوه على الأعناق وخرجوا به من ساحة المحكمة، وكان يوماً مشهودا فى تاريخ الشعب المصرى، انتصر فيه انتصارا باهرا على اللورد كرومر.

صحيفة اللواء: مصطفى كامل:

لهذه الصحيفة فى الحقيقة من اسمها نصيب كبير، فهى التى حملت لواء الحركة الوطنية، وبقيت تحمل هذا اللواء حتى بعد وفاة صاحبها الزعيم الشاب مصطفى كامل، ولقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة يوم الثلاثاء غرة رمضان سنة ١٣١٧ وهو الموافق لليوم الثانى من شهر يناير سنة ١٩٠٠، وقد رسمت الصحيفة لنفسها إذ ذاك برنامجا يتألف مما يلى:

ويتحدث الزعيم مصطفى كامل عن الأسباب فى تسمية صحيفته باللواء؛ حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب وتجتمع أصدق الآمال.

وتمثل «اللواء» الرافد الثانى من روافد الحركة الوطنية، وقد قامت بدورها

فى نشر الوعى الوطنى ومحاربة الاحتلال والدعوة إلى حياة دستورية سليمة، وقد كتب مصطفى كامل فى افتتاحية العدد الأول محددا اتجاه اللواء، فبين أن هدفها هو: «خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى. والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة».

هذا التيار الوطنى، اقترنت وطنيته بعاطفة إسلامية، فوقف إلى جانب الخلافة العثمانية، وأيد ارتباط مصر بها روحيا. وقد أكد مصطفى كامل هذا الاتجاه عندما قال: «حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكم السياسات وأرشدها».

ويرى أستاذنا الدكتور **أحمد حسين الصاوى** رحمه الله، أن هذا الاتجاه من «اللواء» والحركة السياسية التى تعبر عنها راجع إلى أن مفهوم الوطنية المصرية فى ذلك الوقت كان يحتاج إلى تأييد الباب العالى فى كفاحه ضد الاستعمار البريطانى وهو ما افتقرت إليه الثورة العرابية.. وعلى أى حال فقد عبرت كتابات مصطفى كامل الوطنية فى اللواء قبيل وفاته عن اتجاهات مصرية خالصة تستهدف تحرير البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معا، ويمثل توقيع الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ نقطة تحول خطيرة فى اتجاهات الصحافة.. فقد توطد مركز الانجليز فى البلاد، واشتد ضغطهم على الحريات، ومن ثم ازدادت لهجة «المؤيد» هدوءا ولينا وفترت حماسة غيرها من الصحف الوطنية بينما هللت «المقطم» والتزمت «الأهرام» الصمت.. أما اللواء فسرعان ما أفاقت من الصدمة بعد أن كشفت فرنسا عن نفسها وأعلن فيها مصطفى كامل أن الدول الأوربية كلها سواء؛ وأن المصريين يجب أن يعتمدوا على أنفسهم فى الكفاح الوطنى.. وتأكد هذا الاتجاه من «اللواء» بفتور العلاقة بينها وبين الخديوى بعد أن تخاذل أمام الضغط البريطانى وبذلك ازدادت اللواء قوة وشعبية وأصبحت أولى الصحف الوطنية المكافحة، غير أن «اللواء» مع تخلصها من فكرة التماس تأييد فرنسا ومن صلتها بصاحب العرش ظلت

متمسكة بفكـرة الخلافة الإسلامية وارتباط مصر بها، حتى قـبيل وفاة مصطفى كامل. . ثم بدا من كتـاباته الأخيرة تخليه إلى حد كبيـر عن هذه الفكرة واتجاه دعوته نحو تخليص البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معا.

ويذهـب د. إبراهيم عـبده فى تاريـخه للـصحافة المـصرية؛ إلى أن إنـشاء **(اللواء)** يعتبر مفترقا للطرق فى صحـافة مصر الوطنية إذ ذاك؛ فقد حمل علم الجهاد فى إيمان الواثق بحقه المـؤمن بعقيدته؛ وستكون **(اللواء)** فيما بعد لسان حزب لعب فـى حياة مصر دوراً كـبيراً **(هو الحزب الـوطنى)**. وهى الصحيفة الوطنيـة التى كان نظام العـمل فيها مثـلاً يحتذى من حيث الـتحرير والإدارة؛ وهى الصحيفـة الثانية التى استخدمـت الآلة الكهربائية فى طبـعها، ومن أولى الصـحف التى عـنيت بمـادتها وفسـحت صدرها لجـليل الأمـور وخطيرهـا فى صفحات ثـمان؛ وهى أول الصحف المصريـة التى نشرت أخبار مـصر وخطب المسئـولين فيهـا، ووصفت الحفلات الـكبيرة بالـبرق، ومحررهـا أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث فى أوربا عادة[1].

وتشير اتجاهات المضـمون فى صفحات **(اللواء)** إلى اهتمام بـقضايا: **التعليم والتعليم الشعبى** الذى يـجب أن يقـوم علـى أكتاف الـشعب، وقـد استـطاع مصطفـى كامل أن يجعل مـن هذه القضية الوطـنية قضية عـامة يجتمع عـليها الوطنيون جميعاً فشرعـوا ينشئون المدارس ويفكرون فى **جامعة مصرية** تنشّئ الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا أبى الجلاء[2].

الصحافة الوطنية والاتفاق الودى

وبينما تجاهد **(اللواء)** ومحررها بكـل ما تملك من قوة؛ إذ بانجلـترا وفرنسا يعلـنان عن **الاتفاق الودى** بيـنهـما فى ٨ إبـريل عـام ١٩٠٤؛ وكان صـدمة للمصريين؛ لأن مادته الأولى نصّت على أن انجلتـرا «ليس فى نيتها تغيير الحالة

(١) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية ص ١٥٨.

(٢) نفسه، ص ١٥٩.

السياسية لمصر وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن لا تعرقل عمل انجلترا فى هذه البلاد؛ فبدأت بذلك صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة المصرية. حيث فترت نغمة الحماسة فى معظم الصحف؛ واستمرت (اللواء) على علي حماستها؛ ومواصلة جهادها؛ واستكمال عناصر الوطنية وتوحيدها فى نفوس المصريين، واتجه مصطفى كامل فى اللواء اتجاها جديداً يؤكد أن الأمم الأوربية جميعاً، سواء فى استعمارها؛ وهذه - كما يقول - حقيقة يجب أن يعرفها المصريون وتستلزم منهم الاعتماد على أنفسهم، وبولندا وايرلندا أحسن مثلين لهم فى الكفاح والحرص عليه(١).

وتشن اللواء حملة صحفية كبرى على (اللورد كرومر)؛ عقب محاكمة دنشواى؛ كان من آثارها حملة صحفية فى الخارة لفتت الانجليز إلى سوء السياسة التى ينتهجها المعتمد البريطانى فى مصر مما ترتب عليه عزل كرومر فى إبريل سنة ١٩٠٧. ويذهب المؤرّخون إلى أن عزل كرومر قد فتح صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة المصرية، كتب معظمها (اللواء) وصحفه، وهى مدرسة فى صحافتنا جديدة.

وقد أسس مصطفى كامل شركة مساهمة لإصدار جريدتين بلغتين أوربيتين فى مصر بعد حادث دنشواى فى نوفمبر سنة ١٩٠٦ ويذهب د. إبراهيم عبده؛ إلى أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعانى التى كان يعزّ عرضها على الأجانب فى مصر، ثم إنه استطاع أن يحصل على موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن الجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات (بييرلوتى) عن على أن يكون نشرها فى الجريدتين فى يوم واحد، وهو عمل صحفى نادر المثال فى ذلك الوقت، كما أنه رأى أن يعدّ للصحيفة بيئة صالحة فأوفد أحد محررى (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملاً فى مدارسها وصحفها الكبرى(٢).

---

(١) نفسه، ص ١٦٢؛ اللواء فى ١٨ إبريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤.

(٢)عبد الرحمن الرافعي: مصطفى كامل ص ٤١٨.

الفصل الخامس

الصحف الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية

بلغت الصحافة الوطنية ذروة تأثيرها فى الرأى العام فى هذه المرحلة المبكّرة من مراحل مقاومة الاحتلال؛ وفى العام الأخير من عهد (كرومر) يسجّل المؤرخون **ظاهرة فريدة فى تاريخ الصحافة المصرية، وهى ظاهرة نشأة الأحزاب السياسية داخل الصحف الوطنية**. والمعروف فى «تاريخ الدول دائما أن الصحف الوطنية هى التى تنشأ فى أحضان الأحزاب السياسية، ولكن الذى حدث فى مصر هو أن الأحزاب هى التى نشأت فى أحضان الصحف الوطنية[1]. وقد تم تأليف هذه الأحزاب بين اكتوبر ١٩٠٦ وسبتمبر ١٩٠٧ بالترتيب التالى:

أولاً ـ حزب الأمة، وقد نشأ فى داخل صحيفة **(الجريدة)** لمحررها أحمد لطفى السيد.

ثانيا ـ حزب الإصلاح على المبادىء بالدستورية وقد نشأ فى داخل صحيفة **(المؤيد)** للسيد على يوسف.

ثالثا: الحزب الوطنى: وقد نشأ فى داخل صحيفة **(اللواء)** لمصطفى كامل.

وتفسير ذلك أن الآراء التى نادت بها كل صحيفة من هذه الصحف الثلاث كانت قد تبلورت فى مبادىء تصلح لأن تكون أساساً لبرنامج الحزب الذى يبلور هذه المبادىء فى سياسة معينة رعتها.

مصطفى كامل والحزب الوطنى:

ويتتبع أستاذنا د. حمزة فكرة الحزب الوطنى منذ نشأتها إلى أن أخرجها مصطفى كامل إلى حيز الوجود فيقول[2]:

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ١٠٩.

(٢) راجع أدب المقالة الصحفية فى مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة جزء ١ ص ١٦ ـ ١٧.

«إن فكرة الحزب قديمة فى مصر. بل ربما كانت سابقة لحياة مصطفى كامل نفسه بعشرات السنين.

فلقد سمع الناس كلمة (**الحزب الوطنى**) لأول مرة فى مصر، وذلك فى النصف الثانى من القرن الماضى وربما كان ذلك بالضبط قبل الثورة العرابية بقليل. فى سنة ١٨٧٨ أى فى **وزارة رياض باشا**. ففى تلك السنة تم تأليف هيئة شعبية باسم **الجمعية الوطنية** أو (الحزب الوطنى) وكان من أعضاء هذه الهيئة يومئذ **شريف باشا، وشاهين باشا، وعمر لطفى باشا، وراغب باشا، وسلطان باشا**. وكانت هذه الهيئة فى حقيقة الأمر صدى لظهور المعارضة فى **مجلس النواب المصرى**.

كتب **أديب إسحاق** فى جريدة **مصر القاهرة** التى أنشأها فى باريس سنة ١٨٧٩ مقالا بعنوان (**الحزب الوطنى فى مصر**) يقول فيه:

«نعم إن الأمة المصرية فريقان، يعرف أحدهما **بالوطنى**، والآخر بما لا نجد لتعريفه حداً. فانه ليس بالغريب فيوصف **بالأجنبى**، ولا بالفاتح الدخيل فيعرف بذلك. وإنما هو **مصرى وليس بمصرى**، ووطنى وليس بوطنى. بل القول فيه ما جاء (**بمصر الفتاة**) على حين صدورها مفوضاً تحرير جانبها العربى إلى هذا العاجز (يريد نفسه) وهو تعريف الحزب الوطنى **بالاستقلاليين**، والآخر **بالتدخليين**. فالتدخليون هم الأفراد المتهالكون على تدخل الأجنبى فى أمور بلادهم، يتوسلون بذلك للرياسة والولاية، ويسترضون الدخيل بما يغضب الحق والوطن، ويبيعون ديارهم بما يطمعون فيه من باطل المقام وزائل الحكام. وهم الآن أصحاب الأمر، لهم الملك وللأجنبى الحكم، ولهم القشور وللدخيل اللُباب... والاستقلاليون هم الفئة المجتمعة، والجمع الكثير. يرومون حفظ الحقوق الوطنية، وكف يد الأجنبى عن استقلالهم... وبعبارة إجمالية يريدون أن تكون مصر للمصريين. وهم الآن حلفاء الصبر، يُبعد نبهاؤهم، ويعنت وجهاؤهم، ويقيمهم اللؤماء هدفا لسهام الانتقام. وقد عنى التدخليون بتشويه محاسن الفرقة الوطنية (يريد الحزب الوطنى) بما ينشرون فى صحفهم، وما

يستكتبون فى صحف الأجنبى من الكلام المفترى، متلونين تلون الحرباء. فتارة يسمونهم بحزب الترك القدماء، وطوراً بحزب التعصب الدينى، وآونة يرمونهم بالنفرة عن كل نجاح وصلاح. ومرة يتهمونه بعداوة الأجنبى عن دينهم على أى مشرب كان. وقد آن أن نضع لهذه الأراجيف حداً، وأن نرد كيد اللؤماء فى نحورهم. فالحزب الوطنى غير متعصب إلا فى وطنيته، والحزب الوطنى غير معادٍ إلا للخائنين».

قد يفهم من هذا الحديث أن كلمة «الحزب الوطنى» إنما كانت تطلق على الأحرار الذين كانوا يهدفون إلى استقلال مصر، ويحاولون الظفر بحريتها. وقد كان هؤلاء الأحرار يجتمعون حيناً بدار **سلطان باشا**، وحيناً آخر بدار **لطيف باشا سليم**، وحيناً ثالثاً بدار **الأميرة نازلي فاضل**، وحيناً رابعاً بدار السيد **توفيق البكرى** نقيب الأشراف، وحيناً خامساً بدار **راغب بإشاد** وهكذا.

والذى لا ريب فيه أن **مصطفى كامل** كان يختلف فى حياته كما قلنا إلى بعض هذه الدور، وأنه التقط فيما التقط منها فكرة **الحزب الوطنى**. وبقيت هذه الفكرة تسكن عقله حتى جاءت سنة ١٩٠٠ ففكر فى إخراج فكرته إلى حيز الوجود. وكتب فى ذلك مقالا بجريدة **اللواء** فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٠ عنوانه **(حزب وطنى حر فى مصر)** وكان يومئذ فى **بودابست** عاصمة المجر - جاء فيه:

«إن تاريخ هذا الوطنى المجرى هو أكبر مدرسة لرجل مثلى وهب حياته لخدمة وطنه وإعلاء شأنه إلى أن قال:

«هل يسمح لى الزمان بأن أرى فى مصر هذا الحزب الوطنى الحر الشريف المبادىء، المتحد الأعضاء، الناهض بالأمة إلى مرامى النجاح. إنى أعرف أن اليائسين سيقولون إن تأسيس حزبٍ محالٌ ولكنى إذا كنت لا أيأس من خلاص بلادى فمحال على أن أيأس من تحقيق هذا الأمر الجليل».

غير أن فكرة الحزب الوطنى بقيت حلماً من الأحلام لم يتحقق لمصطفى

كامل إلا فى عـام ١٩٠٧ . بعد حادثة دنشواى واستعداد الأمة إسـتعداداً كاملاً لتقبـل هذه الفكرة التى تـوج بها الزعيم الـشاب جهاده فى سبيـل وطنه. وفى الثانى والعشريـن من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى الزعيـم الشاب أطول خطبة سياسية له، وكان ذلـك فى مسرح زيزينيا بالأسكندرية. واجتـمع لسماعه عدد من الأهالـى لا يقل عن سبـعة آلاف وكانت هذه الخطـبة بمنزلة إعـلان لانشاء الحزب الوطنى الـذى عرف يومئذ (بحزب الجلاء). وقد اجـتمع أعضاؤه لأول مرة فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٠٧ . وخطب مصطفى كامل فى هذا الاجتماع خطبة أخرى أعلن فيها مبادىء الحزب الوطنى وتتلخص فيما يلى: -

أولا: الاستقلال التام لمصـر مع سودانها وملحقاتها غيـر مشوب بأى احتلال أو حماية أو شبه سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال.

ثانياً: إيجاد حكومة دستـورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحـاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا.

ثالثا: إحترام المعاهدات الدولـية والاتفاقات المالية التى ارتبطـت بها الحكومة المصرية لسداد الديون.

رابعا: إنتـقاد الأعمال الـضارة بكـل صراحة والاعـتراف بالأعمـال النافـعة والتشجيع عليها وإرشاد الحكومة إلى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها.

خامسا: العمـل لنشر التـعليم فى أنـحاء الديار عـلى أساس وطنى صـحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر مـنه، ومحاربة الخزعبلات والترهات، ونشر المبادئ، الدينية السليمة الداعية لـلرقى، وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسـيس الكليات فى البلاد وإرسال الارساليات لأوروبا وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال.

سادسا: ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة، والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى.

سابعا: إرشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة إلى حقائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ودعوتهم للاتحالد والائتلاف وتمكين المحبة بين **عنصرى الأمة المسلمين والأقباط** وتنبيههم إلى واجباتهم نحو بلادهم.

ثامنا: مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين **الأحوال الصحية** حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتها.

تاسعا: تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب وازالة سوء التفاهم بينهم إذا وجد.

عاشراً: إنماء علائق المحبة والثقة بين **مصر ودول أوروبا، ونفى كل تهمة عن مصر**، والعمل لا يجاد أنصار لها فى كل أنحاء العالم حتى تكون لها قوة أدبية سامية تساعدها على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى تعمل ضدها ويراد بها إخفاء الحقيقة[1]. وإلى جانب الحزب الوطنى نشأ حزبان آخران أولهما: **حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية** عن **صحيفة المؤيد**، والثانى هو: **حزب الأمة**: كان أنصار هذا الحزب قد ورثوا عن الحركة الوطنية التى سبقت الاحتلال البريطانى جفاءها للجالس على العرش ونزعتها الإصلاحية التى افتتن بها عدد لا بأس به من الملاك الزراعيين من ناحية، وبعض المفكرين المجددين من ناحية ثانية. كما كان أعضاء هذا الحزب يهدفون إلى إصلاح المشاكل الاجتماعية فى البلاد. وهو إصلاح كان يؤمن به المحتلون، ويرون أنه ينبغى أن يكون جزءا من سياستهم فى مصر. وتوالت الأيام، وتغيرت معها الظروف والأحوال، فأصبح أعضاء **حزب الأمة** يميلون إلى انتقاد السلطة المحتلة. واستحال حزب الأمة مع الزمن **أيضاً** إلى حزبى **الوفد والأحرار الدستوريين** بعد ثورة ١٩١٩وزعيم الوفد هو **سعد زغلول**. وزعيم الأحرار الدستوريين هو عدلى يكن.

---

(١) خطاب بطل الوطنية المرحوم مصطفى كامل باشا ٧٥٦٧ دار الكتب.

صحيفة (الجريدة) وحزب الأمة:

كان (حزب الأمة) هو أول الأحزاب المصرية فى نشأته؛ حيث نشأ فى دار صحيفة (الجريدة) عام ١٩٠٧؛ وقد قيل عن سبب إنشاء (الجريدة) أن حادثاً وقع يومئذ وكان له تأثير فى نفوس المصريين، وهو حادث (العقبة)، وخلاصته أن الحكومتين التركية والمصرية اختلفتا على (العقبة) كل منهما تراها لنفسها دون الأخرى؛ وتدخلت انجلترا بينهما، فانتصرت لمصر على تركيا. ولكن عقلاء الأمة المصرية انتبهوا لهذا الوضع ولم تجز عليهم خديعة الاحتلال البريطانى؛ فنصروا الأتراك على الانجليز فى هذه المشكلة، فذهل الاحتلاليون لهذا الموقف، وعادا الوطنيون فى مصر يفكرون فى الأمر، فكان من رأى لطفى السيد أن تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص لتركيا أو إلى إحدى السلطتين الشرعية أوالفعلية فى البلاد (يريد بالسلطة الشرعية الخديو عباس وبالسلطة الفعلية لورد كرومر)، ورأى أحمد لطفى السيد أن تكون الجريدة ملكا لشركة من أعيان البلاد أو أصحاب المصالح الحقيقة فيها وهم الذين ظن اللورد كرومر أنهم راضون عن الاحتلال، متوهما أن حركة المعارضة لهذا الاحتلال لا يقوم بها إلا من ليس لهم مصالح حقيقية فى البلاد، وهم طبقة الأفندية من جانب وباشوات الأتراك من جانب آخر.

أما الأهداف التى سعت إليها (الجريدة) فتتلخص فيما يلى:

أولا: نشر عقيدة الاستقلال بين أفراد الأمة المصرية ودحض الفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا وتركيا، مع أنه لا سبيل فى الواقع إلى حرية المصريين إلا بجهود المصريين.

ثانياً: السعى لإزالة الفروق فى الرأى بين المصريين وإحلال التشابه فى العقيدة محل الخلاف فيها - وبعبارة أخرى - تكوين ما يسمى بالرأى العام المصرى من جديد، وبذلك يتحد المصريون فى أهدافهم مهما كانت آراؤهم.

ثالثاً: إنماء الشخصية المصرية بقدر المستطاع، والنظر فى الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها مستقلة عن غيرها من الدول ومنها الدولة العثمانية نفسها.

رابعاً: توجيه **النقد** إلى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد، والنظر فى هذا النقد إلى مصلحة المصريين وحدهم، من غير تحيز لأحد الجانبين المذكورين فى حال اختلافهما، أو فى حال اتفاقهما، أو فى الحال التى يكونان عليها بيْن بيْن.

خامساً: **المطالبة بالدستور**، والدأب على هذه المطالبة بعد إذ تبين للمصريين أنه يستحيل عليهم التقدم خطوة إلى الإمام إلا بمشاركة الأمة للحكومة فى الأعمال العامة، ولن يكون ذلك إلا بحصول الأمة على الدستور ولو بالتدريج، وذلك عن طريق الدفاع عن مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين، وتوسيع اختصاصهما تمهيداً للوصول إلى **حياة نيابية أقرب للكمال**.

سادساً: الرد على مزاعم الإنجليز، وبخاصة ما جاء منها مخالفاً تقارير اللورد **كرومر والدن غورست**، حتى يثبت للعالم الحر أن **مصر خليقة بالكمال** الذى تنشده، وأن **الإنجليز ظالمون فى نظرتهم للدين الإسلامى** من جهة، وظالمون فى تقديرهم للموظف المصرى والكفاية المصرية من جهة أخرى.

سابعاً: الدعوة **لمذهب الحريين**؛ ليكون أساساً لتربية الأمة المصرية، ولحرية التعليم ولحرية القضاء، ولحرية الكلام والكتابة، ولحرية الاجتماع، وسائر أنوع الحريات الأخرى، مع العناية التامة ببرامج التعليم حتى يصبح ملائماً لأغراض الأمة والجيل الجديد.

ثامنا: النهوض بالحركتين العقلية والأدبية، وإفساح المجال **للشبيبة المصرية** لكى تظهر مواهبها المختلفة.

تاسعا: العمل على **تشجيع الصناعة والتجارة والزراعة** حتى تبلغ كل منها الحد الذى يتفق وآمال البلاد.

عاشرا: العمل على تقوية **الوحدة القومية مع اليقظة التامة لتوحيد عنصرى الأمة المصرية** ـ وهما عنصر المسلمين وعنصر الأقباط ـ حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها إلى تحطيم الوحدة أو النيل من الحركة الوطنية.

وباختصار كانت **(الجريدة)** ومحررها **أحمد لطفى السيد**، تشترك مع **اللواء** ومحرره **مصطفى كامل** فى الأهداف الوطنية. ولكنهما يختلفان اختلافا كبيراً فى الوسائل: فبينما **مصطفى كامل** يرى الاعتماد على الدولة العلّية، إذ **بلطفى السيد** لا يرى الاعتماد على هذه الدولة أو غيرها، بل على المصريين وحدهم دون غيرهم. وبينما دعا **مصطفى** فى **(اللواء)** إلى ما يسمى **(بالجامعة الإسلامية أو الجامعة العثمانية)**، إذا **بلطفى السيد** فى **(الجريدة)** يدعو إلى **(الجامعة المصرية)** أو **(الجامعة القومية)**. وقال فى ذلك:

«إن علينا نحن المصريين أن تترك فرنسا والجلترة والدولة العلية، وعلينا ألا نعير سياسة الخلاف، أو سياسة الوفاق أية أهمية، وعلينا أن نعتمد على أنفسنا فقط فى الحصول على حقنا فى **الدستور**، وحقنا فى **الحرية**. لابد لنا من ذلك، ومن عزة تربأ بنا أن نطلب من غيرنا أن يأتى لتحرير أنفسنا من الرق وقلوبنا من عبادة القوى، كأننا ـ كما ظنوا خطأ بنا ـ ينبغى أن يأتينا الاستقلال ونحن نيام»[١].

هكذا تعلن الحركة الوطنية عن تيارها الثالث، وهو التيار الداعى لأن تكون **«مصر للمصريين»** والذى تزعمه أحمد لطفى السيد، ومثلته جريدة **«الجريدة»** التى صدرت عام ١٩٠٧.

وقد اختطت الجريدة لنفسها تيارا متميزا مختلفا تمام الاختلاف عن التيارين الأولين، فكانت دعوتها للقومية المصرية الخالصة باعتبارها هدف الاستقلال الصحيح، دعوة جديدة تتميز بطابع فكرى.

وإلى جانب ذلك أخذت **الجريدة** بالمذهب **«الليبرالى»** الذى يدعو إلى زيادة نصيب الأفراد من الحرية وتحديد تدخل الحكومة فى مختلف القطاعات حتى تعتمد الأمة على نفسها بدلا من الاعتماد على الحكومة فى كل أمورها.. ومن هنا نادت بحرية التعليم والمرأة والصحافة والقضاء وما إلى ذلك.

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٨٨.

وتنفرد «**الجريدة**» بدعوتها الوطنية لأن تكون «**مصر للمصريين**» ومعارضتها الفكرة التى تنادى بربط مصر بتركيا، وهى الفكرة التى كانت تؤمن «**المؤيد**» بها واختلطت النزعة العثمانية بوطنية «**اللواء**» إلى حد ما. . وبذلك كانت الجريدة تمثل تيارا جديدا يمكن أن نطلق عليه «**التيار المصرى**» الخالص.

ونصل من هذا الحديث إلى أن **الصحافة قد** مثلت التيارات المتصارعة تمثيلا صادقا فرأينا كيف أن الرّافد المعادى للانجليز مثلته «**اللواء**» وبرز على قمته **مصطفى كامل**، والرافد المؤيد للخديو مثلته «**المؤيد**» وصاحبها **السيد على يوسف**، والرافد الداعى إلى أن «**تكون مصر للمصريين**» مثلته «**الجريدة**» ومحررها **لطفى السيد**. وكلها روافد تنبع من التيار الوطنى.

الفصل السادس

الصحافة المصرية والاتجاهات الجديدة

تمثل الفترة بين ثورتى ١٩١٩ و١٩٥٢؛ مرحلة من المراخل الحاسمة فى ملحمة الجهاد الوطنى؛ نسجل فيها للصحافة المصرية وأعلامها أداء دور الحارس الأمين على أمانى الثورة الحقيقية.

وننظر إلى المقال الذى نشره العقاد فى عام ١٩٣٥ فى روز اليوسف اليومية على أنه تبشير بوجوب تحول نضال الشعب ضد الأوضاع الفاسدة والتبشير بزعامة جديدة لها صفات الصحافة الوطنية تتفق مع ما أثبته التاريخ من بعد يقول:

«الواجب فى الزعيم المصرى على ما نعتقد ان لا يرشح نفسه لوزارة ولا نيابة، وأن يكون «قائدا» لاسياسيا ولا حاكما من حكام الإدارة، وخير لمصر أن يكون شابا فى الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الأقدمين.

«وعمل هذا الزعيم أن يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب. وقد أصبح الوصول إلى الاستقلال عن طريق الوزارات أمرًا غير معقول ولا منظور بعد أن تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول..

«فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على الرأى العام الذى يتصل بزعيمه صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذى لا ينظر إلى غير الاستقلال والحرية كما كان ينظر إليهما المصريون فى أوائل النهضة القومية».

صحيفة (السياسة الأسبوعية):

صدر العدد الأول من **(السياسة الأسبوعية) فى مارس** ١٩٢٦ . وقد أشار رئيس تحريرها د. هيكل فى افتتاحية هذا العدد إلى أنه لا يريد، أن يتلو «على الناس برنامجا طويلا عريضا نسرد فيه ما يجول بخاطرنا من الآمال التى نود أن نراها محققة فى أنهر هذه الجريدة. بل نريد أن يرى الناس هذا البرنامج بأنفسهم ولسنا ندعى لهذا العدد تمثيل كل ما يجول بخواطرنا. لكن لنا من الرجاء فى المستقبل ما يجعلنا أقرب إلى الظن باستطاعتنا أداء ما نرجو التوفيق لأدائه. على أن ذلك لايعفينا من أن نذكر إن أردنا بهذه **(السياسة الأسبوعية)** أن تكون وسطا بين **الجريدة السياسية والمجلة السياسية** من غير أن تقصر أكبر عنايتها فى شئون السياسة على ما يفهمه الأكثرون. بل سيكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية قدر المستطاع. ونعتقد أننا بهذا نؤدى خدمة يرى كثيرون ضرورة أدائها للبلاد فى الظروف الحاضرة. وهذا الرأى يطمعنا فى مؤازرة هؤلاء الكثيرين لنا وتأييدهم إيانا ومعاونتهم لنا ونحن أول من يقدر قيمة هذه المعاونة القيمة التى مكنت **السياسة اليومية** من بلوغ المكانة التى بلغتها والتى أطمعتنا فى إمكان القيام بالمجهود الذى يقتضى إصدار مثل هذه **(السياسة الأسبوعية)** القيام به»[١].

وبعد سنة كاملة من عمر **السياسة الأسبوعية**، يقول هيكل فى مقال بعنوان: **السياسة الأسبوعية فى عامها الثانى**»[٢] : «ورجاؤنا أن توفر السياسة الأسبوعية ما يجب توافره فى هذه الصحافة من تنويع المواضيع تنويعا يجد معه كل قارىء ما يعنيه أن يقف عليه. وهذا هو ما دعانا ويدعونا إلى أن نجعل منها ميدانا لمختلف الموضوعات العلمية والأدبية والسياسية، وأن نلجأ جهد الطاقة إلى

---

(١) السياسة الأسبوعية فى ١٣ مارس ١٩٢٦. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص٥٠.

(٢) السياسة الأسبوعية فى ١٩ مارس ١٩٢٧.

ذوى الرأى والتخصص فى هذه الموضوعات المختلفة لإيقاف القراء على آخر ما أبدع فيها».

ومن ذلك يبين أن الرؤيا كانت واضحة أمام د. هيكل للملاحق والطبعات الأسبوعية، فهو يرد أن يحتذى حذو الطبعات الأسبوعية الأعم فى المفهوم من الملاحق الأدبية لأنه يريد بها أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية». وذلك بهدف القيام بنهضة ثقافية جديدة تهدف إلى إزالة الجمود الفكرى الذى كشفت عنه قضيتا **«الإسلام وأصول الحكم» و«فى الشعر الجاهلى»**، ذلك لأن الكتاب المجددين فى هذه الفترة بعد أن استنفدت الصحافة السياسية معظم جهودهم كان لابد لهم أن يفتشوا عن سند جديد يحمى ظهورهم ويسدد خطاهم ويضىء لهم الطريق ويحميهم من لهيب المعارك السياسية التى كانت محتدمة متأججة الأوار، كما رأينا صورة العصر السياسية عند الحديث عن **(السياسة اليومية)**، فبدأت فكرة، **التعاون الأدبى تظهر فى** الأفق، فظهرت **«السياسة الأسبوعية»**، «لأول عهدها بالحياة أثناء ائتلاف الأحزاب المصرية فى سنة ١٩٢٦ وطوع ذلك لها أن تكون مستقلة فى خطتها ومنهجها، غير متأثرة بهد حزبى أيا كان لونه»[١].

وراح د. هيكل يبث فكرة **التآزر الأدبى** المرتبطة بدعوته **للوحدة القومية** لتقيم مصر حياتها الداخلية على أسس جديدة ترجو أن يتضافر أبناؤها على ابتكارها وعلى تثبيت قواعدها وتوطيد أركانها.. فهذا الميدان ما يزال[٢] بكرا فى الحياة المصرية وما يزال بحاجة إلى تفاهم أولى الرأى على أصلح المبادىء وأكفلها بخير المصريين وطمأنينتهم ورضائهم، فهم اليوم أصحاب الرأى فى أمرهم وفى مصيرهم؛ وهم المطالبون لذلك بأن يضعوا نظام الحياة للجماعة المصرية وأن يقرروا المبادىء التى يقوم هذا النظام عليها. ووطنهم أشد إلحاحا فى مطالبتهم اليوم بوضع هذا النظام بعد أن أثبتت الحوادث أن سياسة الاحتلال

(١، ٢) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

البريطانى فى الماضى قد أهملت الجانب المعنوى فى الحياة المصرية. وقد جعلت كل همها إلى ثبات المالية المصرية حتى لا تتداخل فى شئون مصر دولة غير بريطانيا باسم كفالة ما لأرباب الأسهم فى دين مصر العام من حقوق المصالح».

لذلك يذهب د. هيكل فى دعوته إلى أن السبيل الحق لابتكار أصلح المبادىء وأكفلها بالخير لمصر وطمأنينتها؛ إنما هو **البحث الحر** لا يقيده قيد ولا يقف فى سبيله عائق.

وتحقيقا لهذه الغايةرسم محرر **السياسة الأسبوعية** لصحيفته منهجا تلتزم به، ليتسنى لها النجاح، وأن تكون ملتقى الأقلام والأفكار كما يريد. ويقوم هذا «**المنهج**» على البحث الحر، الذى لا يتأتى له أن يؤتى ثماره - كما يقول[1] - إلا إذا سما صاحبه فوق الأهواء الذاتيةوفوق الشهوات والأحقاد والتمس معونة كل قادر على المعونة لبلوغ الغاية من بحثه، وهذا ما ترجو **السياسة الأسبوعية** أن تجده عند أولى الرأى من المصريين جميعا، وإن اختلفت ميولهم وأهواؤهم ونزعاتهم وأحزابهم. «**فمصر أمنا جميعا فى أحضانها نشأنا وإلى ترابها نعود وما نستمتع من الحياة فيها يلقى على عاتقنا جميعا عبء العمل لخيرها والتضافر على هذا العمل إن فرقت بيننا النزعات وباعدت بين أهوائنا أمزجتنا**. ومن نافل الرأى النكوص عن القيام للوطن بواجبه ظنا بمعونة رجل الحكم لأن هوانا يختلف مع هوى هذا الرجل ومزاجنا لا يلتئم مع مزاجه. وليس بين النكوص عن أداء واجب الوطن وبين خيانة الوطن بون كبير»[2].

ويصف د. هيكل هذا «**المنهج**» فيقول:[3] إن «**الحقيقة بنت البحث، والخلاف** فى الرأى التماسا للحق وطلبا لمصلحة عامة هو آكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة. وستعاون هذه الجريدة قراءها جهد ما تستطيع فى البحث عن الحق وفى التماس أوجه الرأى بأن تعرض عليهم كل ما تستطيع

(١) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

(٢، ٣) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

عرضه من الآراء والمعلومات التى تقع عليها فى مختلف أنحاء العالم، مستعينة فى ذلك بأحدث ما ينشر من الكتب والنشرات الدورية والصحف وأسباب النشر والإذاعة جميعا، وهى تقدر أن الفكاهة قد تنطوى من الحقيقة على ما لا ينطوى عليه جدّ المنطق، وأن الأقصوصة الضاحكة قد تنطوى من العبرة والحكمة أضعاف ما تنطوى عليه مذاهب الفلسفة. وهى لذلك ستأخذ من هذا وذاك بنصيب، ملتمسة فى الصورة وفى الكاريكاتور ما لا يصل إليه الأدب أو العلم، جاعلة كل همها أداء رسالة الفكر الحر والثقافة العلمية المثمرة».

وتحقيقاً لهذا المنهج أخذت السياسة الأسبوعية نفسها أن تقوم بجهود «التوطيد روابط العلاقة العقلية والروحية بين الشعوب التى تتكلم العربية، ولنشر الثقافة العامة فى مختلف أنحاء الشرق العربى بإذاعة ما تستطيع إذاعته من تفكير الشرق والغرب جميعا»[1]، وعلى نفس «المنهج» الذى جعله د. هيكل يقوم على «أقوم مبادىء حرية الرأى التى تحل من نفوسنا محل القداسة والإجلال»[2].

ويذكرنا د. هيكل أن السياسة الأسبوعية[3]، «يشجعها على المضى فى رسالتها ومتابعة مجهودها ما يتولاها به قراؤها من تشجيع وما يؤازرها به أصدقاؤها من معونة صادقة فى تحريرها. فليس عدد من أعدادها إلا يحتوى بحوثا وأفكارا ممتعة من ثمرات أقلام هؤلاء الأصدقاء الذين وجدوا فيها المجال للتعاون على إنهاض هذا الشرق العربى نهضة فكرية هو الآن فى أشد الحاجة إليها. وليس يقف أمر هذه البحوث والتفكيرات على ما يرسله بنو مصر، وفلسطين وسوريا والعراق. هذا إلى جانب ما يوقفنا عليه مراسلونا فى مختلف الأقطار من سير النهضات فى الشرق ومن أسباب التطور فى الغرب. وكذلك ترانا نشعر فى كل عدد من أعداد هذه الجريدة بوسط قوى صالح من

(١، ٢) السياسية الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٣) المرجع نفسه.

الأنصار والمؤيدين يعززنا ويقوى همتنا ويبعثنا على المزيد من الجهد فى سبيل أداء الغرض الذى أخذنا به أنفسنا منذ أصدرنا العدد الأول من **السياسة الأسبوعية**»[1].

«هذا الغرض هو الذى يجعلنا نتوخى جهد الطاقة **ألا نميل بهذه الجريدة إلى ناحية حزبية** سواء فى مصر أو فى أية أمة من الأمم التى تقرؤها. ذلك أننا لا نريد بها مناصرة فريق على فريق ولا طائفة على طائفة، ولا نبتغى بها أن تكون فى صف زيد أو عمرو، وإنما نبتغى بها مناصرة فكرة لا تتزعزع فى نفوسنا ولا تتصل بحزب من الأحزاب أو بطائفة من الطوائف، تلك الفكرة هى ما قدمنا من تأييد حرية الرأى والعمل على نشر الثقافة وتمكين أواصر القربى العقلية والروحية فى نفوس أهل الشرق جميعا. لذلك لا يمنعنا مانع من أن ننشر رأيين مختلفين. ولا رأيا يخالف رأينا ما **قام الرأى على أساس من سلامة التفكير والتنزه عن الأغراض الذاتية**. وإذا كنا قد جعلنا هذا رأينا فى الاجتماعيات والعمليات فهو كذلك رأينا فى الشئون السياسية. فليس يحول دون نشر رأى من الآراء أنه يخالف رأينا ما بدا هذا الرأى منزها عن الغرض، سليم التفكير فى مقدماته ونتائجه. وهذه الحرية التامة التى نبتغيها هى التى أتاحت لنا أن ننشر الرأيين المتناقضين وأن نترك لصاحب كل واحد منهما أن يؤيد رأيه بما يرى تأييده به من حجة ودليل قائمين على الأساس السابق ذكره»[2].

ويشهد د. هيكل أن هذا الاحترام التام لحرية الرأى قد جنى على **السياسة الأسبوعية** فى بعض الأحايين: «وبلغت جنايته أن ضاع بعض أصدقائها ممن كان لأقلامهم أثر فيها. لكننا لم نأسف يوما من الأيام على ما حدث من ذلك. فنحن أكبر تقديرا لحرية الرأى منا للذين ينقمون هذه الحرية، ولو أدى ذلك إلى

(١) السياسة الأسبوعية: فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.
(٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

ضياع ما بينهم وبين هذه الجريدة من صداقة وصلة، ولو أدى ذلك إلى إعلانهم عليها حربا لن تنال منها، لأنها بنزعتها السامية أبعد منالا من أن تسيء إليها الشهوات الخاصة أو تزعزع من عقيدتها فى مبدئها وغايتها الأغراض والمآرب الذاتية»[١].

ويعاهد هيكل قراءه فى مفتتح السنة الرابعة من حياة **السياسة الأسبوعية** على أن «تكون دائما عند حسن ظنهم بها.. فلن نألو جهدا فى سبيل تحقيق غاياتنا ولن نجعل لاعتبار فوق حرية الرأى قيمة، ولن نتغير عما كنا نعاضد البحث والتفكير ونعمل على نشر ما يصل إليه العلم من نتائج. وإنا لنعاهدكم كذلك على أن نكون فى المستقبل كما كنا فى الماضى، أنصار النزاهة المطلقة فى التفكير والقول والكتابة. وعاهدكم أيضا على أن نتعاون وإياهم على بعث **حضارة الشرق** من جديد بعثا نراه قريبا وإن رآه بعضهم بعيدا، ونراه يقينا وإن رآه بعضهم حلما من الأحلام، ونراه هادى الإنسانية ومرشدها إلى السلام وإن خيل لبعضهم أن الإنسانية لن تزال فى ضلال ولن يُروى ظمؤها للخراب والدمار. وإذا كان ما نعاهد قراء **السياسة الأسبوعية** عليه أمرا شاقا عزيز المنال، فإنه لذلك جدير بالجهود والسعى المتواصل. ولقد طالما حسب المترددون الذين إذا ذكر الحق تزعزعت عزائمهم أمرا من الأمور محالا، فإذا هذا المحال أدنى لأن تحققه العزيمة الصادقة مما يظنون. وهذا إيماننا وهو الذى يجعلنا على ثقة من أنا بالغون فى المستقبل القريب كل هذه الغايات التى نصبو إليها ونتجه إلى تحقيقها»[٢].

ويزيد هذا الإيمان فى نفوسنا قوة على قوته ما بلغته **السياسة الأسبوعية** من قوة فى السنوات الثلاث التى انقضت منذ نشر أول عدد منها. فثلاث سنوات من حياة أى مجهود من المجهودات ليست شيئا مذكورا. وكم مضت أمثال هذه

(١) نفس المرجع.
(٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

السنوات الثلاث وأضعافها على عمل فى جسامة السياسة الأسبوعية ثم إذا به ما يزال يضطرب بين الاستقرار والهزيمة. فأما هذه الجريدة فقد قوبلت من الجمهور فى مصر والشرق العربى وفى البلاد الغربية النائية التى تضم طائفة من قراء العربية بتعضيد عظيم جعلنا نعتقد أن الحاجة كانت ماسة إليها، وأن الأغراض الماثلة فى نفوسنا ماثلة فى نفوس الألوف والملايين من أهلنا وجيراننا وإنها ما كادت لذلك ترى هذا المجهود يشرق فجره حتى تعاونت لتزيده ضياء على ضيائه.

إذن فالغايات التى نريد بلوغها ليست غايتنا وحدنا ولكنها غايات عامة تجيش بها نفس الشرق كله والشرقيين جميعا. وإذن فالمجهود الذى نقوم به يلقى جوابه فى نفوس الملايين من أهلنا وبنى عمومتنا. وإذن فهذا البعث الذى نطمع فيه كثمرة لحرية البحث العلمى والرأى النافع نرجو أن يبعث من روح الشرق الخالدة إلى حضارة الغرب فى كثير من أنحائها ضياء الحق وأن يحقق للإنسانية ما تصبو اليوم إليه فى قوة ولهف من هداية وسلام - هذا البعث هو كذلك موضع إيمان الكثيرين وموضع رجائنا أجمعين فليكن عهدنا الذى عاهدنا عليه قراءنا هو إذن مفتتح كلمتنا لهذه السنة الرابعة»[١].

من هذا ومن كثير أمثاله من فواتح القول نتعرف على هذه الخطوط الكبيرة فى «السياسة الأسبوعية» وأهدافها.. إنها بوجه عام، اتجاه جديد فى الصحافة العربية على غرار ما تفعله الصحف الأوربية، يهدف من ورائه الأدباء والكتاب المصريون إلى الخروج من دائرة الحزبية، وإلى مواصلة رسالة التجديد التى بدأوها فى الصحف اليومية على عجل، ولأنهم يريدون أن يسلكوا بالنهضة الفكرية، كما وضح من قول د. هيكل فيما سبق، طريقا جديدا غير مسبوق، ولأن هذه الفترة، كما نعلم كانت تختلط فيها التيارات الأدبية بالتيارات الحزبية،

(١) نفس المرجع.

وتتأثر الأحكـام النقدية بهذه التيـارات، والأمر الذى كشفت اللثـام عنه بعض القضايا الفكرية التى شهدتها الصحف اليومية(١).

على أن صدور **السياسة الأسبوعية** على هذه الصورة التى نـتحدث عنها لم يكن بدايـة مولد تيار التجـديد، فقد رأينا فيمـا سبق أن هذا التيار قـد نشأ فى ظروف الحياة المصـرية وصراعها الحزبى، فقـد كان هذا التيار يتطـور ابتداء من الصفحة الأدبية فى **السياسة اليومية**، ثم **ملحق السياسة**، وهكذا تطور التيار أو وصل إلى ذروتـه عندما صدر الـعدد الأول من **الطبعة الأسبوعية** للسياسة فى مارس ١٩٢٦.

وإذا كنا لا نجمع على أن مولد هذه الصحيفـة يمثل ميلاد تيار التجديد، فإننا نعترف بأن هذا الـتيار قد وصل إلى ذروته من ذلك الحيـن، وساعدت الظروف والأحداث على أن يأخذ طابعه الفكرى المجدّد، ولذلك كان لابد أن نقف عند هذه النشأة وكيف تطورت وما صادفها من عقبات.

ونحن نلـمح فى فواتح القول التـى أوردناها من **السياسة الأسبوعية** والتى سجلها محررها: الاستقلال فى الشخصية الأدبية، ففى الوقت الذى تصدر فيه **السياسة الأسبوعية** ممثلة لـكل الاتجاهات والمذاهب الـفنية، لا ينسـى هيكل أن يشير صراحة إلى أن **السياسة الأسبوعية** لا تتقيد بالآراء الحزبـية ولا بتوجيهات الحزب إلا فى الحدود الخاصة: «**وسيكون دأبـنا هناك وهنا أن ننـصر المبادىء أو نحاربهـا لذاتها دون نظر إلـى الأشخاص الذين يؤيـدونها**، أو ينإضلـونها وفى نصرة المبادىء وفى مـحاربتها لا نداجن ولا نخاف فى الحـق لومة لائم. لذلك قد ننصر رأيا لشخص بذاته ونحارب رأيا آخر لهذا الشخص بذاته. إذا لم يتفق هذا الرأيان فى منطق المذاهب العمليـة أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفنية أو

---

(١) راجع كتـاب: طه حيـن وزوال المجتمع الـتقليـدى؛ القاهرة هيئة الكـتاب الفصـل الخاص بالقـضايا الفكريةوقضية الشعر الجاهلى.

الأدبية. ولن يغير تأييدنا للرأى أو المبدأ أو محاربتنا إياه من صلاتنا لمؤيدى المبدأ ولا لخصومه»[1].

وقد أرسى بذلك مبدأ من أهم المبادىء التى كانت الحياة الأدبية والصحفية فى أمس الحاجة إليها حينئذ، ونعنى (محاربة التعصب) الذى نجم عن تغلغل الحزبية فى الرأى. وفى ذلك قال د. هيكل: «فإن حرص الأشخاص مع ذلك على خصومنا فإنّا لن نقف منه موقف التعصب ولن نحارب ما نراه صالحا من رأيه. فليس التعصب وليس ضيق الأفق فى طبعنا، والتعصب وضيق الأفق هما اللذان يحيلان الخلاف فى الرأى خصومة ذاتية ويسرعان بصاحبهما إلى اتهام من يخالفه وينسيانه أن الحقيقة بنت البحث وأن الخلاف فى الرأى التماساً للحق أو طلبا لمصلحة عامة هو آكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة»[2].

ومن ذلك أيضا تأصيل «حرية الرأى» وتوكيدها وبث روح الديمقراطية فى الأدب الصحفى حتى يثق الشباب بقدرته وكرامته الشخصية، ولذلك رأينا د. هيكل يسجل حرص **السياسة الأسبوعية** «على حرية الرأى والبحث لتكون ميدانا حقيقيا لأصوب الآراء فى أشد الشئون مساسا بحياتنا الروحية والعملية والمادية»[3].

هكذا جاءت «السياسة الأسبوعية» كأول طبعة أسبوعية تعنى بالشئون الثقافية البحتة فى مصر وفى العالم العربى فيما نعلم، بحيث لا يسع مؤرخ الصحافة إلا أن ينظر إلى صحيفة السياسة ـ كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة[4] على **أنها تعتبر بحق «رائدة» الطَّوْر الرابع من أطوار الصحافة المصرية**. ويرجع السبب فى ذلك إلى أمور كثيرة منها:

(١، ٢، ٣) السياسة الأسبوعية فى ١٤ يناير ١٩٣٩.

(٤) الصحافة المصرية فى مائة عام ص١١٠.

أن جريدة **السياسة** كانت من أكثر الصحف المعاصرة لها استخداما لكبار الكتاب والمفكرين، وإفساحا لهم فى مجال الكتابة فيها على اعتبارهم **«مصاحفين لا «صحفيين محترفين»**.

استطاع كتابها أن يخلقوا ثورة فى الصحافة المصرية من الناحيتين الأدبية والفكرية وذلك بما نشروا فى صحيفة **السياسة الأسبوعية** - بنوع خاص من المقالات الثورية فى عالم الأدب والاجتماع والتاريخ والفلسفة. وحسب القارىء أن نذكره هنا بمقالات **على عبدالرازق** التى جمعت فيما بعد فى كتاب: **«الإسلام وأصول الحكم»**. وحسب القارىء أن يذكر كذلك أن صحيفة **السياسة** هى التى حمت الدكتور طه حسين من بطش الحكومة بعد نشره كتاب: **«فى الشعر الجاهلى»**. بل حسب القارىء كذلك أن نذكره بمقالات إبراهيم عبدالقادر المازنى وهى عبارة عن قصص فى إطار مقالات كانت نوعا جديدا فى فن المقال من حيث هو. ثم حسب القارىء أخيرا أن نذكره بالمقالات النقدية الاجتماعية التى كتبها **عبدالعزيز البشرى**، وجمعت بعد ذلك، فى كتاب عنوانه: **«فى المرآة»** وفيه صور كاريكاتورية إقليمية لكثير من الشخصيات البارزة فى الأمة المصرية كانت هى الأخرى لونا جديدا من ألوان المقال[1].

وإذا كان الفن اختيارا، فإن اختيار اسم **«السياسة الأسبوعية»** يدل على نزعة محررها إلى التجديد، لأنه يجنح بالصحافة المصرية إلى إحراز تقدم ثقافى ذهبت إليه صحافة الغرب، فهو يريد **«بالسياسة الأسبوعية»** أن تكون **«وسطا بين المجلة السياسة والجريدة السياسية**، ويكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية فيها قدر المستطاع»[2]. وفى ذلك ما يبين أثر «النموذج الغربى الذى كان أمام محرر السياسة الأسبوعية، ونرجح أن يكون هذا النموذج هو

---

(١) الصحافة المصرية فى مائة عام ص١١٢.

(٢) السياسة الأسبوعية ى ١٣ مارس ١٩٢٦.

الطبعة الأسبوعية لصحيفة «التيمس The Times»[1]. ولعل ذلك يرجع إلى أن كلا من الصحيفتين رسمتا لنفسيهما سياسة ومنهجا منذ صدور كليهما وبقيتا عند تلك السياسة والمنهج لا يغير فيه أبداً.

فإذا كانت **السياسة الأسبوعية قد** صدرت وأمامها هذا النموذج الغربى. فإننا نذهب إلى للطفى السيد أثرًا فى تسمية «**السياسة** الأم، ونعنى **الصحيفة اليومية** التى اتخذت **الأسبوعية** اسمها، نرجعه إلى أرسطو الذى ترجمه أستاذ الجيل **فالسياسة عند أرسطو هى أشرف العلوم**، لأنه يعرفها بأنها تدبير المدنية ليكون سكانها فضلاء. ومن هذا التعريف ترجع إلى **السياسة** سائر العلوم كما قال أرسطو تأسيسا على أن **السياسة** تبين ما هى العلوم الضرورية لحياة فضلاء، وفى هذا التعريف **ترجع إلى السياسة سائر العلوم**، أى حد ينبغى أن يعلموها»[2] فهل أرادت «**السياسة الأسبوعية**» أن تكون **مرجعا لسائر العلوم؟** وهل تكون بعد صدورها على النموذج الغربى قد حققت ما نرجّحه من آراء أستاذ الجيل؟

وأيا كان الأمر، فقد حاولت السياسة الأسبوعية فعلا أن تقوم برسالة الثقافة الشاملة «**لسائر العلوم**» فحشدت كل كبار الكتاب فى ذلك الوقت فكان إلى جانب محررها: **د.هيكل،طه حسين، ومحمود عزمى، ومصطفى عبدالرازق، وعلى عبدالرازق، وإبراهيم المازنى وعبدالعزيز البشرى، وتوفيق دياب، ومحمد عبدالله عنان.**

وقد حدثنى شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود رحمه الله أن الصفحة الاقتصادية فيها كان يحررها المرحوم **كامل عبدالرحيم** وكيل وزارة الخارجية، وكان يحرر الصفحة العلمية فيها **الدكتور محمد والى** الذى صار عميدا لكلية

---

(١) يحدثنى الأستاذ حافظ محمود أن السياسة الأسبوعية فعلا كانت تهدف أن تحقق ما تحققه الطبعة الأسبوعية The Times: Weekly Review بل إنها ـ اتخذت لنفسها شكل هذه الطبعة.

(٢) لطفى السيد: فيلسوف أيقظ زمة؛ للمؤلف، ص١٦٩.

العلوم فيما بعد. وكانت تحرر الصفحة النسائية فيها الآنسة «**مى**» إلى جانب عدد كبير من المحررين والمترجمين الذين تتلمذوا على هذه الجريدة وأصبحوا من ألمع الكتاب فيما بعد مثل: الدكتور **عبدالحميد يونس وحافظ محمود**.. وغيرهما.

وقال الأستاذ حافظ محمود أيضا، إن السياسة الأسبوعية كانت منذ نشأتها أوسع الجرائد العربية الشرقية انتشارا فى العالم، فبلغ متوسط توزيعها أربعين ألف نسخة أسبوعيا بينما كانت أعلى نسبة توزيع للصحف إذ ذاك لا تتجاوز عشرين ألف وكان نصف هذا العدد بالضبط يوزع فى البلاد العربية خارج مصر، ولذلك كان لها فضل **الربط الفكرى بين القاهرة والعواصم العربية الأخرى**.

ولا شك أن الفضل فى هذا النجاح يرجع إلى رغبة محررها المستمرة فى تطوير المقالة الصحفية بجميع فنونها وأشكالها تطويرا يتصل بالشكل والمضمون[1]، ويبين إدراك د. هيكل لمسئوليته القيادية فى إيجاد صحافة ممتازة، تواكب تقدم الصحافة العالمية، لتقدم للأمة العربية حينذاك ما كان يطمع إليه من مثل فكرية.

وهكذا نشأت السياسة الأسبوعية لتحتضن النهضة الأدبية والأفكار التقدمية وتدافع عنهما بحرارة عظيمة، وحماسة صادقة[2].

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن أن نقول إن **السياسة الأسبوعية** قد خرجت بمباحثها ودراساتها أشبه ما تكون بـ«جامعة تضم مختلف الكليات فيها لكل طالب زاد - على حد تعبير المرحوم محمود تيمور»[3]. ولعلها كانت وليدة الضرورات والملابسات الاجتماعية فى تلك الحقبة من الزمن، إذ كانت الجامعة

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى المصرى ص١٦٠.

(٢) حمزة: مستقبل الصحافة ص٢٠٨.

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى/ السابق ص١٦٢.

الحكومية ما تزال فى مهدها، طلابها نفر قليلون، على حين يتطلع شباب العصر إلى المعرفة والتأدب، فكان على **السياسة الأسبوعية** أن تروى ظمأ الجمهور الراغب فى التثقيف والتنوير».

ونخلص من ذلك إلى أن الصحيفة يتسق مع رسالتها لأنها تسير فى المفهوم الأرسطى «للسياسة» الذى ترجع إليه «سائر العلوم».

واحترمت **السياسة الأسبوعية** الفكرة الأساسية فى إنشائها، وهى فكرة الأدب فتجنبت ـ ما أمكن ـ الخوض فى أية موضوعات تمس السياسة الداخلية إلا اضطرارا. وأعلنت فى تقديم عددها الأول هذه الخطة فكانت سببا من أسباب إقبال القراء عليها حتى لقد كانت أول أمرها أكبر وأكثر الصحف العربية توزيعاً.

صدرت **السياسة الأسبوعية** عن **شركة جريدة السياسة اليومية**، وقد رأس تحريرها الدكتور **محمد حسين هيكل** رئيس تحرير **السياسة اليومية** كما تقدم، ومع ذلك كله ظلت محافظة إلى مدى بعيد على استقلالها الذاتى بعيدا عن السياسة الحزبية، لتظل وثيقةالصلة بالنهضة الأدبية الجديدة.. فظلت الصلة بينها وبين شركة السياسة مجرّد صلة إدارية ومالية دون خلط بين سياسة الجريدتين إلا بعد سنين طويلة.

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا تاما فى المفاهيم بين الجريدة اليومية والأسبوعية.. ولكن معناه أن **السياسة الأسبوعية** كانت تتعرض للسياسة من الزوايا العامة التى تكاد تكون ذات طابع دولى.. وهذا ما كان يظهر فقط فى افتتاحياتها التى كان يكتبها أول الأمر رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل.

وقفنا على كثيرمن النظرات الجديدة فى الأدب والفكر ونحن ندرس الآثار الأدبية فى صحيفة السياسة الأسبوعية، وآراءها فى التجديد. ولقد فصلنا الحديث فى هذه الأمور، ولكننا نريد بعد ذلك أن نشير إلى اتجاهات التجديد

فى السياسة الأسبوعية من خلال الاتجاهات التى دار فيها مقال هيكل بصورة مركزة تقفنا فى وضوح على الإضافات الجديدة التى أغنت بها السياسة الأسبوعية صحافتنا الحديثة[1].

ونودّ أن نشير بصفة عامة إلى أن د.**هيكل** محرر **السياسة الأسبوعية**، وصحبه من كتابها ومحرريها كانوا يمثلون ثورة حقيقية فى صحافتنا العربية الحديثة، فلقد جاءوا إليها بثقافتهم وفكرهم الجديد، وطاقاتهم الصحفية والأدبية المتفتحة، فملأوا حياتنا الفكرية بالأفكار الجديدة فى الأدب والصحافة، وحاربوا الجمود والتقليد ودعوا إلى التجديد فى نواحى الحياة، وأفسحوا المجال للمواهب الجديدة.

والواقع أن **السياسة الأسبوعية** قد ورثت عن شقيقتها اليومية تلك الإمكانيات الفنية التى جعلتها رائدة للصحف المعاصرة، فجاءت صحيفة **البلاغ** بعدها فى ٢٨ يناير ١٩٢٣[2]. فوجدت أمامها نموذجا من الصحافة الحديثة يتفوق فنا على الصحف الأخرى وكان عليها «أن تظهر للقراء بصورة لا تقل عن الصورة التى ظهرت بها السياسة بحال من الأحوال»[3].

من هنا جاءت **السياسة الأسبوعية** لتمثل ذروة تيار التجديد الذى بدا فى **السياسة اليومية**، كما سبق القول، وقد جددت «فى الأسلوب والمضمون، فخرجت من تلك الدائرة الضيقة التى كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسية فى الداخل والخارج. وأفردت صحائف للأدب والفن والزراعة والسيدات»[4]. وكان ذلك كما يقول هيكل: «خطوة سعيدة، فإن الصحف الأخرى جاهدت لتحذو حذو السياسة، والتنافس فى ذاته دافع إلى التقدم»[5].

---

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى/ السابق ص١٩١.
(٢) صدرت السياسة اليومية ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.
(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى/ السابق ص١٧٠.
(٤، ٥) السياسة: فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٤.

ذلك أن الخصـومة السياسيـة، كما يقول طه حـسين[1] قد دفعـت «صحف الأحزاب المتخاصمة إلى الـتنافس فافتنّت فيما جعلت تـنشر من الفصول، وإذا الأدباء يـستعـرضون الآداب الأوربـية الحديـثة يذيـعونـها ناقـدين ومحـلـلـين ومترجمين، وإذا هم بعد هذا كله يرقـون إلى إنشاء الدراسات التى تطول حتى تصبـح كتبا تستـقل بنفسـها، وتقصر حـتى تصبح فصـولا تنشر فى الـصحف والمجلات ثم يجمـع بعضها إلى بعض فإذا هـى أسفار قيمة يجد فـيها القارىء نفعا ولـذة ومقاما. فهذا نوع جديـد من الأدب عرفه الأوربيون منذ زمـن بعيد ولم نعرفه نحن إلا فى العصر الحديث».

ومن جهة أخـرى فقد جاء اشتغـال الأدباء بالشئون الـسياسية فى الـصحافة عاملا من عوامل هذه النهضة، بعد ثورة ١٩١٩. وهؤلاء ـ كما يقول العقاد[2] ـ كان لهم «الأثـر المحسوس فى نشر الأدب بين قـراء الصحف السياسـية ونشر السياسة بين القراء المتأدبين الذيـن كانوا لا يحفلون بها ولا يقرأون من المقالات والكتب إلا ما كان أدبا محضا أو بحثا فى موضوعات الشعر والنقد والبلاغة.. فمنذ اشتغل أفراد هـذه الطبقة بالصحافة والسياسة تعـود قراؤهم السياسيون أن ينتقلوا معـهم إلى مباحث الأدب والنقد وما إليها، كمـا تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلـوا معهم إلى السياسـة ومناقشاتها حيثـما خاضوا فيها وناضـلوا عنها. فاتسع نطاق الأدب كمـا اتسع نطاق السياسة، واستفادت الأسالـيـب العربية كما استفـادت النهضة الوطـنية من جودة التـعبير وحســن التوجيه وارتقـاء مذاهب القول والتفكير، ونشأت فى مصر والـشرق نهضة أدبية أو أدب سياسى تتقارب فيه درجات الـقراء ممن كانوا يألفون الأدب دون الـسياسة إلى ما كانـوا يألفون السياسة دون الأدب، ثم اجتمعوا على مائدة واحدة لكل منهم نصيب فيها».

---

(١) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين ص٢٨.

(٢) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد ٢٢٨.

وتأسيسا على ذلك نستطيع أن نفهم الدور الذى أسهمت فيه السياسة الأسبوعية من توسيع نطاق القراءة وتهذيب لغة الصحافة وتمكين العبارات الوطنية وما يتصل بها من الخوالج النفسية فى قلوب القراء ومن يقتدى بهم من قريب.

التجديد فى التحرير الصحفى:

والمقصود بالتحرير هنا هو الموضوع والأسلوب. وإذا كان هناك اعتراض قوى بأن الصحيفة التى يسهم فيها عدد كبير من الكتَّاب لا يمكن أن ينتظمهم أسلوب واحد ولغة واحدة[1]. وهو اعتراض حق، حين ننظر فى التفاصيل والأجزاء، ونقف عندها. أما حين نتناول الصحيفة ككل فإن الاعتراض يهن ويضعف. إذ من الواضح أننا إذا كنا نجد الصعوبة فى الحكم على أسلوب **السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى** بسبب من كثرة الكتَّاب فيهما، فإن من اليسير أن نلاحظ أن الأقلام المختلفة الأساليب تتلاقى بعد ذلك وتتقارب وأن مسافة الخلف بينها تضيق وتنكمش، ويبقى لها بعد ذلك خط واحد كبير يمكن أن يفسر لغتها ويبين عن أسلوبها. ونحن فى **السياسة الأسبوعية** ـ مثلا ـ نوشك أن نكون أمام أسلوب واحد ينتظمها فى التفكير والتعبير إلى حد كبير.

أما **الموضوع** فقد سبق أن رأينا أن **السياسة الأسبوعية** منذ صدورها على الناس بصفحات جديدة منها، **الصفحة الأدبية ـ الصفحة الفنية الصفحة العلمية ـ الصفحة القانونية ـ صفحة المرأة ـ الصفحة الاقتصادية** إلخ. ولم تقتصر الصحيفة على ذلك حتى حرصت بدون انقطاع تشجيع الفنون الأدبية الجديدة، فشجعت **حركة القصة فى الأدب العربى** ترجمة وتقويما، إلى جانب عنايتها بالنهضة الفنية الأخرى فى المسرح والموسيقى والسينما.

---

(١) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، ص٢٩٠.

بهذه الطرق وأمثالها استطاعت **السياسة الأسبوعية** أن تدخل على الـصحافة العربيـة الجديدة، وأن تشارك فى الـنهضة الأدبية والفـكرية التى بلـغت أوجها بصدور الدسـتور فى سنة ١٩٢٣ . ونرجح أن يـكون الوازع لهذه النـهضة إلى اعتقاد محرر **السياسة الأسبوعية** بأن «الكاتـب الذى يؤمن برسالته يـخلق قراءه ولا يخلقونه»[١].

فابتدعت **السياسة الأسبوعية** طرقا فنية للمشاركة فـى النهضة ؟ ومنها طريقة **«المرايا»** التى برع فيها **عبدالعزيز البشرى** وقد استهلت المـرايا عددها الأول فى مارس ١٩٢٦ بمقـالة عن **«زيور بـاشا»** وإلى جانـب المقال صورة كاريكـاتورية ضاحكة. وقد فتحت **السياسة الأسبوعية** بهذا الباب فتحا جـديدا فى الصحافة العربية يتجـه إلى استخدام الأسلوب الكاريكاتورى. كما كـتب بعض المرايا فى السياسة الأسـبوعية **فكرى أباظـة وحسن درويش وتوفيـق فرغلى وعبدالحـميد حمدى**[٢].

وكنا قد قلنا فى كتابنا عن د. هيكل إنه عاد إلى كتابة صورة جديدة تحت هذا العنوان بعد ذلك بعشر سنـوات حين لم تعد تصدر غير **السياسة الأسبوعية** ولم يكن يوقعها باسمه. وقد كان مرجعنا فى ذلك الدكتور حسين فوزى النجار[٣]. وقد رجعنا إلى هذه الصور فلم نجد فيهـا أثرا لروح هيكل، مما جعلنا نرجع إلى محررها فى هذه الفترة وهو أستاذنا **حافظ محمود** رحمه الله، الذى أوضح لنا أن هذه المرايا كانـت تكتب بتوجيه من هـيكل فقط، ولكن محـررها هو حافظ محمود نفسه.

وأيا كـان الأمر فقـد فتـحت **السياسة الأسبوعية** بابا جـديدا فى الصـحافة

(١) الهلال: ٥ أغسطس ١٩٣٤.
(٢) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص٢٢٧.
(٣) نفسه، ص٢٣٠.

المصرية يستخدم الكاريكاتور عن طريق المقالات الأدبية أو الصحفية. بل كانت تقرن بين السخرية الكاريكاتورية والسخرية القلمية في موضع واحد فتوسعت الصحافة من بعد استخدام الكاريكاتور إلى الحد الذى أحدث أزمة أخلاقية حادة خاض الكتاب فى بيانها، وانقسموا يومئذ إلى رأيين، الأول ينكر هذا الاتجاه كل الإنكار، وكان يتزعمه ويعبر عنه الدكتور هيكل[٣] والرأى الثانى لا يجد بأسا من استخدام هذا الفن وكان من دعاته الدكتور طه حسين[٤].

البلاغ الأسبوعى:

وسار على هذا الدرب **(البلاغ)** فأصدر صاحبه: **(البلاغ الأسبوعى)** فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦، وهو تقليد **(للسياسة الأسبوعية)** وكان من أهم محرريه **عباس العقاد ومحمد السباعى وصبرى أبو علم ومحمود سليمان غنام** فى حجم أصغر من **(السياسة)** وإن صدر أحياناً فى ثمان وعشرين صفحة ولكنه تميز بصوره الكاريكاتورية.

مجلة الكشكول:

ثم صدرت فى مطلع الحركة الوطنية صحيفة تأثرت أبا نظارة هى **(الكشكول)** المصور لسليمان فوزى وكانت «جريدة مصورة اجتماعية انتقادية» عرفها المصريون فى ٢٤ مايو ١٩٢١ وكانت مثلاً طيباً للصحافة الهزلية وعاصرت التطور السياسى فى مصر إلى أن قضى صاحبها، وعن مدرسته صدرت **(روز اليوسف)** و**(آخر ساعة)** وما إليها من المجلات المماثلة[٣].

(١) من كلمته بكتاب الدكتور محمد حسين هيكل ص٣١.

(٢) حق السياسة: فى ٣٠ مايو ١٩٣٣

(٣) د. إبراهيم عبده: السابق ص ٢١٥.

مجلة الرسالة والزيات:

أصدر **أحمد حسن الزيات** مجلة **(الرسالة)** فى ١٥ يناير ١٩٣٣ بالاشتراك مع طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر وكانت خطتها «**ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب**». ويصور الزيات مولد «**الرسالة**» واللقاء الذى تم بينه وبين طه حسين بشأن إصدارها فى وقت كانت المجلات الهزلية تطغى على الصحف الثقافية بعد تحول **السياسة الأسبوعية** إلى الاتجاه الحزبي، يقول : «فى ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ زرت أخى طه حسين فى داره بالزمالك. وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد أن أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد. وكان هو قد أنزل عن كرسيه فى كلية الآداب من جامعة فؤاد. فقلت له بعد حديث شهى من أحاديث الذكرى والأمل: ما رأيك فى أن نصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع؟ فضحك ضحكته التى تبتدئ بابتسامة عريضة، ثم تنتهى بقهقهة طويلة، وقال: وهل تظنك واجدا لمجلة الأدب الرفيه قراء فى مجتمع، ثقافة خاصته أوربية، وعقلية عامته أمية، والمذبذبون بين ذلك لا يقرأون إذا قرءوا - إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة؟.

فقلت له: لعل من بين هؤلاء طبقة وسطى تطلب الجد فلا تجده، وتشتهى النفع فلا تناله.. فقال وهو يهز رأسه: حتى هذه الطبقة ، إن كانت، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع، فإذا ما ألح عليها، لا تلبث أن تسأمه وتزهد فيه.. والمثل أمامك فى **السياسة الإسبوعية**.

«فقلت له: ربما كان لإقبال القراء على **السياسة الإسبوعية**، ولإدبارهم عنها سببان «آخران غير التغيير والسأم.. كانت هذه المجلة أول ما صدرت قوية عفية خصبة فأصبحت حاجة، ثم اعتراها ما يعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضيلة.

«فقال طه بعد نقاش طويل، أنت وشأنك.. أما شأنى فهو المقال الذى أكتبه، والرأى الذى أراه.. وكان يظاهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأدنون من **لجنة التأليف والترجمة والنشر**، فكانوا بهذه الظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد»[1].

وحين عين طه حسين رئيساً لتحرير جريدة «**كوكب الشرق**» خوطب فى شأن الزيات فقبل نيابة عنه، ولكن الزيات هاله الأمر إشفاقا على المجلة الوليدة التى أحاطت بمولدها الأماني، فيعرض المسألة على أعضاء لجنة التأليف الذى أيدوا الزيات فترك طه حسين الرسالة مغضباً، واضطلع بها الزيات يعاونه رجال الفكر[2] من أعضاء لجنة التأليف. ثم أخذ طه حسين ينازل توفيق الحكيم فى جريدة (**الوادى**) تحت عنوان (**أخلاق الأدباء**) نزالا هدد بقطع الصلة بينهما، ولما كانت (**الرسالة**) قد شهدت مولد الحكيم الأدبى ونشرت تقديم طه حسين له، فقد نشر الزيات فيها مقال «**أخلاق الأدباء**» ليعرف قراء الرسالة النهاية بعد أن عرفوا البداية على صفحاتها. فأحنق ذلك طه حسين وهاجم الزيات أيضاً فى «**الوادى**» تحت نفس العنوان «**أخلاق بعض الأدباء**». فرد عليه الزيات تحت عنوان «**بين أسلوبين**» فى سنة ١٩٣٤. وكانت هذه المقالات من المساجلات الأدبية التى كان لها دوىٌّ فى ذلك الحين شغلت الرأى الأدبى العام. كما شهد «**الرسالة**» المقالات النقدية والقومية لطه حسين بين سنتى ١٩٣٦، ١٩٣٩،

---

(١) أحمد حسن الزيات: وحى الرسالة جـ ٤ ص ٧٢،٧٣ ـ ومما يذكر فى صدد صدور الرسالة أن الخطاط الذى عهد إليه أن يعلن مولدها على الجدران نظر فى الإعلان الذى كلف بكتابته فإذا به مسطور على هذا النحو: (مجلة الرسالة يحررها الزيات وطه حسين، وعرت الخطاط هزة أمام الأسمين الكبيرين. ورأى من سوء الأدب أن يكتبهما بلا ألقاب عرفها الناس لهما. فتطوع بإضافة الاستاذية وكتب مجودا: مجلة الرسالة يحررها الأستاذين الزيات وطه حسن ـ وكانت (قفشة) تلقفتها مجامع العاصمة واحتشدت له قدرتنا على التفكه والدعابة، فكان ذلك خير إعلان عن المجلة الجديدة مكن لها من الرواج ـ الدكتورة نعمات فؤاد: قمم أدبية ص ١٨١.

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣.

وشهدت معركة مع العقاد موضوعها: «لاتينيون وسكسونيون» وفصول «على هامش السيرة» قبل نشرها فى كتاب.

على أن احتجاب مجلة «الرسالة» من الأمور التى أسف لها طه حسين أسفا عميقا، فى مقال بعنوان« لابأس» [1] يقول: «رأيت مصرع صحيفتين أدبيتين فى شهر واحد أو فى أقل من شهر فضاق صدرى ومن حقه أن يضيق.. ثارت نفسى ومن الواجب عليها أن تثور، ولم أكتب فى هذه الصحيفة أو تلك منذ عهد بعيد جدا، فلم أغضب لعلمى إن كان لى علم ولا لفنى إن كان لى فن، إنما غضبت لعقلي، وأحسب أن لى عقلا، فقد كان يجد فى هاتين الصحيفتين عزاء ومتاعا، وغضبت لعقول فريق من المصريين والشرقيين كانوا يجدون فيهما مثل ما كنا نجد من الغذاء والمتاع» [2]. إلى أن يقول: «كنت أذكر كيف قهر الأدب فى بعض الأوقات السياسية والأحزاب وكيف انتصر عليها، وكيف كان الناس يشترون بعض الصحف سرا يختلسون شراءها اختلاسات ويدسونها حتى لا يراها الناس لأن الزعماء كانوا قد حذروا من قراءة تلك الصحف. لكن الأدب كان أقوى من الزعماء، فكان الناس يخالسون بشراء الصحف، ويفرغون لقراءتها حين يخلون إلى أنفسهم وحين يأمنون عيون الرقباء»[3]. ويعقب العقاد على هذا المقال بعنوان: «وأى بأس»[4] يتحدث فيه عن أثر احتجاب المجلتين: الرسالة والثقافة، على الحياة الثقافية التى شارك فيها هذا الجيل من المقالين.

مجلة (الثقافة):

وكانت مجلة «الثقافة» قد توقفت قبل توقف «الرسالة»، بعد ست عشرة سنة من صدورها، وهى من الانجازات الثقافية فى صحافة هذه الفترة، وقد

(١) الأهرام فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٢) الأهرام فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٣) الأهرام فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٤) مجلة الثقافة ٣ يناير ١٩٣٩

انفردت بها لجنة التأليف بعد انفصالها عن «**الرسالة**» فصدرت فى ٣ يناير ١٩٣٩ لصاحب امتيازها **أحمد أمين** «تتقدم للعالم الشرقى مؤمنة بقدرتها بنفسها وبأصدقائها شاعرة بتبعتها مقدرة لواجبها وثقتها بقرائها». وكان طه حسين قد أعيد للجامعة وترك العمل فى الصحف السياسية اليومية، واستمر فى عمادة كلية الآداب حتى مايو١٩٣٩، وكان اشتراكه فى تحرير «**الثقافة**» هو العمل الصحفى المنتظم بعد تركه العمل فى جريدة «**الوادى**» اليومية، ليواصل رسالته مع لجنة التأليف الغنية «بأعضائها وتخصصها، ففيها العالم من كل صنف، وفيها الأديب من كل نوع، وفيها الفنان فى كل فن، حصلوا كثيرا من العلم والأدب فرأوا من واجبهم أن يشركوا فى علمهم وأدبهم أكبر عدد ممكن فى مختلف الأقطار»[1].

وفى مجلة «**الثقافة**» تتحدد الوظيفة النقدية فى المقال العربى التى تسمى استجابة من الرأى العام الأدبي، كما يبين من الأصداء المتمثلة فى رسائل القراء.

طه حسين ومجلة الكاتب المصرى[2]

صدرت مجلة «**الكاتب المصرى**» فى أكتوبر ١٩٤٥ عن دار الكاتب المصرى للطباعة والنشر التى استمرت لمدة ثلاث سنوات حددت خلالها مفهوم الصحافة الأدبية عند رئيس تحريرها: طه حسين فى محورين يستقطبان كل أبحاثها هما: العرض والنقد، عرض الفكرة الجديدة أو الكتاب الجديد أو الأثر القديم، ومن خلال هذا الاحتكاك بين العرض والنقد يرسم طه حسين مفهومه للصحيفة الأدبية أو الفكرية العامة، لا غناء الفكر المصرى وتأصيله من خلال التعريف والتصحيح والتقويم فى النطاق الفكرى أو، الخلقى على السواء.

---

(١) مجلة الثقافة ٧ فبراير ١٩٣٩ .

(٢) صدرت المجموعة الكاملة لمجلة (الكاتب المصرى) فى سلسلة (صحافتنا الأدبية) عن هيئة الكتاب بالقاهرة.

وفى «الكاتب المصرى» يبين الأثر الفرنسى فى ثقافة طه حسين والنموذج الذى تمثله للصحافة الفرنسية، والذى ظهرت آثاره من قبل فى صفحات الأدب فى السياسة اليومية والأسبوعيةو وكوكب الشرق والوادي، ومن نماذج المجلات الفكرية العامة: «المجلة الفرنسية الجديدة» التى كانت تتيح لكتابها معالجة موضوعات أخرى غير الأدب تظهر فيها مقدرتهم التحريرية وتضمنت فنونا أخرى من النقد الموسيقى والفنى [1] ، عنى بها طه حسين فى مجلته، التى كانت على اتصال وثيق كذلك بمجلة «الأزمنة الحدية» [2] التى يديرها سارتر، والتى ناقش طه حسين دعوتها إلى الالتزام والمذهب الوجودى فى الأدب والفكر، من خلال الريبورتاج والوثيقة ومقال التحليل الاجتماعي. وقد نشرت «الكاتب المصرى» مقالات لسارتر كان يخصها بها، وكان بعضها ينشر فيها وفى «الأزمنة الحديثة» فى وقت واحد [3] .

وعنى رئيس تحرير «الكاتب المصرى» بالشهريات التى تصل القارىء العربى بالعالم مثل: شهرية السياسة الدولية - من وراء البحار - ظهر حديثا - فى مجلات الشرق - شهرية المسرح والسينما - فى مجلات الغرب - إلى جانب المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية لطه حسين فى هذه المجلة.

من هذه المجلة يبين العنصر النفسى للكيان الصحفى فيها، من تسميتها باسم «الكاتب المصرى» لأن هذه المجلة - كما يقول طه حسين - تستمد «برنامجها وخطتها وسيرتها من تاريخ مصر القديم والحديث، وعن المهمة التى نهضت بها مصر منذ شاركت فى الحضارة الإنسانية العامة» [4] ولذلك يتوسّل طه حسين بهذه المجلة الفكرية فى تحقيق «صلة ثقافية بأدق معانى هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولا وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانيا» [5] .

(١ ، ٢) Gaetan picon: Panorama de la Nouvelle Litterature Francaise, P. 280.

(٣) الكاتب المصرى اعداد: نوفمبر ، أكتوبر، يونيو ١٩٤٧ .

(٤،٥) الكاتب المصرى أكتوبر١٩٤٥ .

فهذه المجلة الفكرية تحدد مفهوم طه حسين للثبات والاستقرار، والنمو والتطور والارتقاء، فى تأصيل الشخصية المصرية وهو المفهوم الذى ذهب بمجلته إلى أن تحرص أشد الحرص على العناية بهذين المقومين للأدب العربى فتعنى بقديم هذا الأدب وتدرس تاريخه وتكشف أسراره وتحيي آثاره. وتعنى بالأدب الحديث الذى ينتجه الممتازون من كتاب الشرق العربى تذيعه وتدرسه وتنقده وتشجعه وتجعله غذاء لعقول العرب وقلوبهم وأذواقهم ، وتهيئه لعقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة بحيث يمكن أن ينتقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة . ولذلك عنيت **«الكاتب المصرى»** بالآداب الأجنبية تنقلها إلى القراء بالدرس والنقد والتحليل، واتفقت مع «طائفة من كبار الكتاب العالميين بأن يوافوها بمقالاتهم ودراساتهم بحيث تكتب خصيصا لها، وتنشر فى اللغة الغربية قبل نشرها بأى لغة أخرى. وكذلك حاولت **«الكاتب المصرى»** أن «ترفع الأدب عن هذه الخصومات التى تثيرها منافع الحياة العاجلة بين الناس».

ومن ذلك يبين أن طه حسين فى بيئة المقال الصحفى فى مصر، على الرغم من عمله فى الجامعة لم يقتصر على المشاركة الصحفية أثناء فترات الابتعاد عنها ولكنه ظل يسهم فى البيئة الصحفية عن قرب فى أحيان كثيرة، وعن بعد فى أحيان قليلة ، فكتب فى **«البلاغ»** و **«الجهاد»** و **«المصرى»** فى الفترات التى لم يكن يشتغل بالصحافة، فلم ينقطع عن الكتابة الصحفية إلا حين أعجزه المرض قبل وفاته بفترة. فهو كما يقول «لا يعفى نفسه من بعض الالتزام إلا ليفرض عليها التزاما آخر. ولا يفرغ من عمل إلا ليدخل فى عمل آخر»[1].

---

(١) سامى الكيالي: مرجع سابق ص ١١٦ ، ١١٧ .